صِفَـةُ القُرْبِ لله عزَّ وجلَّ

بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّة والمُخَالِفِيْن

إعداد :

د.عبدالرحمن بن عبدالله التركي

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود

الإسلامية-الرياض

المقدمة

الحمد لله القريب المجيب، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آلـه وصحبه وسلم. أما بعد :

فإن أشرف العلوم علم التوحيد، ومنه علم الأسماء والصفات، فشرف العلم بشرف المعلوم، وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياة للقلـوب، ولا نعـيم ولا طمأنينـة إلا بـأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون مع ذلـك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه [1].

" والعلم النافع ما عرّف العبد بربه، ودلّـه عليـه حتـى عرفـه ووحّـده وأنس به، واستحى من قربه، وعبده كأنه يراه " [2].

" والعلم النافع يدل على أمرين :

أحدهما: على معرفة الله، وما يستحقه من الأسماء الحـسنى، والـصفات العلى، والأفعال الباهرة، وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه وخشيته ومهابته ومحبته ورجاءه، والتوكل عليه، والرضا بقضائه، والصبر على بلائه.

(١) شرح العقيـدة الطحاويـة، لابـن أبي العـز ص٥-٦. وينظـر: أحكـام القـرآن، لابـن العـربي ٢/ ٩٩٣.

(٢) من "فضل علم السلف على الخلف" لابن رجب ص٦٧ .

والأمر الثاني: المعرفة بما يحبه ويرضاه، وما يكرهه ويسخطه من الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال.

فيوجب ذلك لمن علمه المسارعة إلى ما فيه محبة الله ورضاه، والتباعد عما يكرهه ويسخطه، فإذا أثمر العلم لصاحبه هذا، فهو علم نافع، فمتى كان العلم نافعاً، ووقر في القلب؛ فقد خشع القلب لله، وانكسر له، وذلَّ هيبةً وإجلالاً، وخشية ومحبة وتعظيماً، ومتى خشع القلب لله وذل وانكسر له؛ قنعت النفس بيسير الحال من الدنيا، وشبعت به، فأوجب لها ذلك القناعة والزهد في الدنيا، وكل ما هو فان لا يبقى، من المال والجاه وفضول العيش الذي ينقص به حظ صاحبه عند الله من نعيم الآخرة، وإن كان كريماً على الله "[1].

فيتضح من ذلك أهمية وشرف العلم بالأسماء والصفات، وأنه علم نافع للعبد، يوجب المسارعة إلى ما يقربه إلى الله ﷻ.

ومن أنواع الصفات التي يتصف الله ﷻ بها الصفات الاختيارية[2]، ومن أبرز هذه الصفات لله المتعلقة بمشيئته وقدرته تعالى: صفة القرب، فقد جاء إثبات هذه الصفة في القرآن والسنة، وجاءت في كلام الصحابة -رضوان الله عليهم- والتابعين، وتكلم الأئمة والعلماء عن معنى قرب

(١) فضل علم السلف على الخلف ص٦٤-٦٥.
(٢) سيأتي الكلام في التمهيد على أنواع الصفات.

الله وأنواعه والأدلة عليه، وعلاقة القرب ببعض الصفات، كما رد الأئمة والعلماء على بدع المبتدعة في هذه الصفة الجليلة.

ولأهمية هذا الموضوع آثرت أن أفرده بدراسة عقدية تتكلم عن هذه الصفة من جوانبها العقدية، يكون عنوان هذه الدراسة: **صفة القرب لله ﷻ بين أهل السنة والمخالفين.**

أسباب بحث هذا الموضوع :

١ - أهمية البحث في الصفات الاختيارية لله ﷻ تفصيلاً ، مثل صفة الكلام، والمحبة، والرضا، والرحمة، والغضب، والمجيء، والنزول، والقرب، والعجب والفرح، ونحو ذلك، ورد شبهات المبتدعة حولها،

فبعض هذه الصفات بُحثت استقلالاً[١]، وكثير من هذه الصفات لم تبحث، ولم تدرس دراسة عقدية مفصلة.

ولا شك أن إثبات الصفات الاختيارية لله ﷻ، فيه إغاظة للجهمية[٢]،

---

(١) مثل صفة الكلام لله، بحثها عبد الله بن يوسف الجديع في كتابه "العقيدة السلفية، في كلا م رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردّية". وصفة النزول، بحثها أ.د/ محمد الخميس ضمن تحقيقه لشرح حديث النزول لابن تيمية. وبحثها أيضاً عبد القادر محمد الغامدي في كتاب "صفة النزول الإلهي ورد الشبهات حوله": وصفة الغيرة، بحثها أ.د/ محمد العلي. وصفة الرضا، بحثها د. سالم القرني.

(٢) سيأتي التعريف بهم.

يقول الدارمي[(١)] عن حديث النزول: أَغْيَظُ حديث للجهمية[(٢)]. وقال نعيم بن حماد[(٣)]: حديث النزول يرد على الجهمية قولهم[(٤)].

فالصفات الإلهية تغيظ الجهمية؛ لذلك اتفقوا بجميع درجاتهم على تعطيلها، لئلا تحل بالله الحوادث بزعمهم[(٥)].

وصفة القرب –مثل النزول والمجيء– أغيظ للجهمية من الصفات الاختيارية الأخرى كالخلق، والرزق، ونحو ذلك؛ لكون إثبات ذلك مما هو من جنس الحركة[(٦)]؛ يهدم كل أصول الجهمية[(٧)].

٢- لم أجد بعد البحث كتاباً أو دراسة مستقلة تناولت صفة القرب لله، وبحثتها وفق عقيدة أهل السنة تفصيلاً[(٨)]، مع بيان الأدلة عليها،

---

(١) هو عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد، الإمام العلامة، أبو سعيد الدارمي، ولد قبل المائتين بيسير، وصنف كتاباً في الرد على المريسي الجهمي، وكتاباً في الرد على الجهمية، توفي سنة ٢٨٠هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ١٣/ ٣١٩، والجرح والتعديل، للرازي ٦/ ١٥٣، وطبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى ١/ ٢٢١، وشذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي ٢/ ١٧٦ .

(٢) نقض الدارمي على المريسي ص٥٠٠ .

(٣) هو نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث بن همام، الإمام العلامة، أبو عبد الله الخزاعي، كان شديداً في الرد على الجهمية. يقال: إنه وضع ثلاثة عشر كتاباً في الرد على الجهمية. توفي محبوساً في فتنة القول بخلق القرآن سنة ٢٢٩هـ. ينظر: السير ١٠/ ٥٩٥، والجرح والتعديل ٨/ ٤٦٢، وتاريخ بغداد ١٣/ ٣٠٦، والشذرات ٢/ ٦٧ .

(٤) ينظر: التمهيد لابن عبد البر ٧/ ٤٤ .

(٥) سيأتي الكلام على هذه الشبهة ونقضها.

(٦) سيأتي الكلام على هذا اللفظ المجمل.

(٧) ينظر: صفة النزول الإلهي ورد الشبهات حولها، عبد القادر الغامدي ص٣٥ .

(٨) بعد استقرائي للعديد من الرسائل والبحوث والكتب، لم أعثر على بحث مفصل مختص بالكلام على صفة القرب، وإنما وقفت على كتابات مختصرة جداً عن هذه الصفة، وهي إما في ثنايا

وإيراد كلام السلف، وتوضيح علاقتها ببعض الصفات الأخرى، وبيان آراء المبتدعة وشبههم والرد عليها ونقضها .

كتب الأئمة المتقدمين كشيخ الإسلام ابن تيمية في شرح حديث النزول، أو في مجموع الفتاوى، أو في نقض التأسيس، أو في كلام ابن القيم كما في مختصر الصواعق، ومدارج السالكين، وغيرهما.

أما الدراسات المعاصرة، فكل من تكلم عن صفة القرب كان كلامه –كما أسلفنا– مختصراً جداً، لكونه متعلقاً بالموضوع الذي بحثه، أو بكلام أحد الأئمة في هذه الصفة – إن كان بحثه عن أحد الشخصيات – وهي كالتالي: =

= ١ – كتاب الشيخ علي بن عبد الله الحواس: النقول الصحيحة الواضحة الجلية، عن السلف الصالح في معنى المعية الإلهية الحقيقية. وقد تكلم باختصار عن صفة القرب من خلال كلام ابن القيم.

٢ – كتاب صفة النزول الإلهي ورد الشبهات حوله، لعبد القادر الغامدي. حيث تكلم عن القرب في عدة صفحات (ص١١٨ وما بعدها).

٣– كتاب صفات الله الواردة في الكتاب والسنة لعلوي السقاف (ص٧٥).

٤ – كتاب الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه د. محمد أمان الجامي (ص٣٠٦).

٥– رسالة ماجستير: منهج البيضاوي في تقرير العقيدة عرض ونقد. للباحث سعود العقيل (٢/ ٣٥٠).

٦– كتاب منهج الحافظ ابن حجر في العقيدة من خلال كتابه فتح الباري. لمحمد إسحاق كندو (٢/ ٧٧٧).

٧– كتاب جهود ابن القيم في تقرير توحيد الأسماء والصفات. وليد العلي (ص١٤١٣).

٨– كتاب منهج ابن القيم في شرح الأسماء الحسنى. مشرف علي الغامدي (ص٤٧٠).

٩ – كتاب شرح أسماء الله الحسنى وصفاته الواردة في الكتاب والسنة. حصة الصغير (ص٢٠٢).

١٠ – كتاب منهج محمد رشيد رضا في العقيدة، تامر محمد متولي (ص٤٤٦).

١١ – منهج النووي في أصول الدين –منيرة العرموش– رسالة دكتوراة (١/ ٢٠٠).

١٢ – منهج ابن عطية في أصول الدين –علي القرعاوي– رسالة ماجستير (ص١٩١).

١٣ – منهج جمال الدين القاسمي في تقرير العقيدة –حمد حنفي– رسالة ماجستير (ص١٨٣).

١٤ – رسالة دكتوراة تحت الإعداد للباحث عبد الله القحطاني بعنوان: "الصفات الفعلية بين أهل السنة والمخالفين" وبالاطلاع على مخططها لم أجد الباحث ذكر صفة القرب .

وهذه الدراسات –كما تقدم– مختصرة جداً، وهي كما يظهر متعلقة بكلام الأئمة والعلماء المقصود بالدراسة والبحث فقط .

٣- ما يثمره الإيمان بهذه الصفة الجليلة في قلب المسلم من آثار عظيمة وجليلة، من التعبد بأسماء الله وصفاته، والتعبد بالدعاء، ومراقبة الله في أعماله، ومحبته والتقرب إليه بالأعمال الصالحة.

فبحث هذه الصفة، ودراستها استقلالاً يفتح للمسلم أبواباً مفيدة، ومعينة على الطاعة والتقرب إلى الله ﷻ .

٤-وجود مادة علمية كبيرة في هذه الصفة، تعين على دراسة هذه الصفة دراسة عقدية من جميع جوانبها.

الخطة العامة للبحث:

جعلت البحث في مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات .

المقدمة، وفيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب بحثه، وخطة البحث، ومنهج البحث، والدراسات السابقة.

والتمهيد، وفيه :

أولاً: عقيدة أهل السنة في الصفات بإيجاز.

ثانياً: أنواع الصفات.

الفصل الأول: عقيدة أهل السنة في القرب، وفيه مبحثان :

المبحث الأول: مجمل عقيدة أهل السنة في القرب.

المبحث الثاني: أنواع القرب.

الفصل الثاني: الأدلة على صفة القرب، وبيان كلام السلف في هذه الصفة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأدلة على صفة القرب.

المبحث الثاني: بيان كلام الأئمة على هذه الصفة.

الفصل الثالث: علاقة صفة القرب ببعض الصفات، وآثار الإيمان بصفة القرب، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: علاقة صفة القرب ببعض الصفات.

المبحث الثاني: آثار الإيمان بصفة القرب.

الفصل الرابع: آراء المبتدعة في صفة القرب ونقضها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معطلة الجهمية وأكثر المعتزلة.

المبحث الثاني: حلولية الجهمية وبعض المتصوفة.

المبحث الثالث: الأشاعرة والماتريدية والكلابية والفلاسفة وغيرهم.

الخاتمة، وفيها أبرز النتائج التي توصلت إليها في البحث، ويليها فهرسا المصادر والموضوعات.

وقد سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي والنقدي، وقمتُ بكل ما يتطلبه البحث من أمور علمية مثل التخريج، والحكم على الأحاديث، والتوثيق، والتعريف بالأعلام، والفرق، والأماكن، ونحو ذلك.

وبعد، فهذا جهد المقل أقدمه، فما كان من صواب فمن الله هو المحمود على إحسانه وتوفيقه، وما كان من خطأ فمن نفسي المقصرة والشيطان. والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تمهيد

أولاً: عقيدة أهل السنة في الصفات بإيجاز .

يتلخص منهج السلف في هذا الباب في إثبات الصفات التي وردت في الكتاب والسنة، والإيمان بها من غير تأويل[١]، ولا تحريف[٢]، ولا تشبيه[٣]، ولا تعطيل[٤]. وعدم البحث في كيفيتها، ونفي ما نفاه الكتاب والسنة من صفات لا يجوز، ولا يليق أن يوصف بها، سبحانه وتعالى. فهو منهج وسط بين الجافية والغالية، بين المعطلة من الجهمية والمعتزلة، ومن سلك سبيلهم من الأشاعرة وغيرهم من الذين يلحدون في أسماء الله وصفاته، ويعطلون حقائق ما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ،

(١) التأويل له ثلاثة معان: **الأول:** صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به. **الثاني:** التأويل بمعنى التفسير، كما يقول شيخ المفسرين الطبري: القول في تأويل الآية.. يعني التفسير. **الثالث:** الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل الخبر هو عين المخبر عنه. ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز ص٢٥٢-٢٥٤، والتدمرية، لابن تيمية ص٩١.

(٢) التحريف هو تغيير ألفاظ الأسماء الحسنى والصفات العُلى أو معانيها. ينظر: مختصر الأسئلة والأجوبة على العقيدة الواسطية، لعبد العزيز السلمان ص٢٣.

(٣) التشبيه ينقسم إلى قسمين: **الأول:** تشبيه المخلوق بالخالق، كتشبيه النصارى المسيح ابن مريم بالله ﷻ ، وتشبيه المشركين أصنامهم بالله. **والثاني:** تشبيه الخالق بالمخلوق، كتشبيه المشبهة الذين يقولون: لله وجه كوجه المخلوق، ونحو ذلك. المصدر السابق ص٢٥.

(٤) التعطيل -لغة-: مأخوذ من العطل، وهو الخلو والفراغ. والتعطيل في باب الأسماء والصفات: نفي الأسماء والصفات أو بعضها. ينظر: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات لمحمد التميمي ص٧٠.

وبين الممثلة من الكرامية[1]، وبعض الرافضة[2] الذين يضربون لله ﷻ الأمثال، ويشبهونه بالمخلوقات. وكلا المذهبين مجانب للصواب، والمذهب الصحيح مذهب السلف الذين يؤمنون بأسماء الله وبما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ حقيقةً لا مجازاً، على الوجه اللائق بكمال الله تعالى وجلاله وعزته وعظمته؛ لأنه لا يصف الله تعالى أعلم به منه، ولا يصف الله بعده من هو أعلم به من رسوله ﷺ، والله يقول عن نفسه: ﴿ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾[3]، ويقول عن رسوله ﷺ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[4].

---

(١) الكرامية: فرقة من فرق المرجئة، منسوبة إلى محمد بن كرام السجستاني ت٢٥٥هـ يقول: الإيمان: الإقرار باللسان فقط. وقوله في الصفات هو الغلو في الإثبات إلى التجسيم والتشبيه. ينظر: مقالات الإسلاميين، للأشعري ١/ ٢٥٠، والفرق بين الفرق، للبغدادي ٢٠٢، التبصير في الدين، للأسفراييني ١١١.

(٢) فرقة من أخطر الفرق على الإسلام والمسلمين، يقوم مذهبهم على سب الصحابة وتكفيرهم إلا قليلاً منهم، والقول بعصمة الأئمة، وعقيدة البداء وغير ذلك من العقائد الخطيرة، سموا بالرافضة لرفضهم إمامة زيد بن علي بن الحسين لما أظهر الترحم على أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما. وقولهم في التجسيم تقلده كبارهم مثل هشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي. ينظر: مقالات الإسلاميين ١/ ٨٩، والفرق بين الفرق ٤٧-٤٨، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للرازي ٦٥ .

(٣) سورة البقرة ١٤٠.

(٤) سورة النجم ٣و٤.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية [١] ملخصاً منهج السلف في ذلك: فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله، نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه.

وقد عُلم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف[٢]، ولا تمثيل[٣]، ومن غير تحريف ولا تعطيل. وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه، مع إثبات ما أثبته من الصفات، من غير إلحاد [٤] لا في أسمائه ولا في آياته، فإن الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته ، كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [٥] وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾ [٦].

---

(١) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر، الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية، ولد سنة ٦٦١هـ وتوفي سنة ٧٢٨هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي ٤/ ٢٧٨، وفوات الوفيات، للكتبي ١/ ٣٥، والبداية والنهاية، لابن كثير ١٨/ ٢٩٥، والشذرات ٦/ ٨٠.

(٢) التكييف هو الخوض في كنه وهيئة الصفات التي أثبتها الله لنفسه. ينظر: معتقد أهل السنة في توحيد الأسماء والصفات، للتميمي ص٧٠.

(٣) التمثيل هو اعتقاد أن صفات الخالق مثل صفات المخلوق. المصدر السابق ٧٠.

(٤) الإلحاد في الأسماء والصفات هو: الميل والعدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها إلى الشرك والتعطيل والكفر. ينظر: مختصر الأسئلة والأجوبة على الواسطية ص٣٢، والمدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، للبريكان ص٣٣.

(٥) سورة الأعراف ١٨٠.

(٦) سورة فصلت ٤٠.

فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[١]. ففي قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ رد للتشبيه والتمثيل، وفي قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ رد للإلحاد والتعطيل[٢].

وقال ابن قدامة[٣] -رحمه الله-: وكل ما جاء في القرآن، أو صح عن المصطفى ﷺ من صفات الرحمن وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل، والتشبيه والتمثيل. وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف -رضي الله عنهم- كلهم متفقون على الإقرار، والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، من غير تعرض لتأويله، وقد أمرنا بالاقتفاء لآثارهم، والاهتداء بمنارهم، وحذرنا المحدثات، وأخبرنا أنها من الضلالات[٤].

---

(١) سورة الشورى ١١.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٣-٤ وينظر: الحموية، لابن تيمية ص٢٠٣-٢٠٤ (رسالة ماجستير). تحقيق الشيخ حمد بن عبد المحسن التويجري، ومنهج الشوكاني في العقيدة د/ عبد الله نومسوك ص٣٥٠-٣٥٢.

(٣) هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، الإمام العلامة أبو محمد المقدسي الحنبلي الصالحي، توفي سنة ٦٢٠هـ. ينظر: السير ٢٢/ ١٦٥، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ١٣٣، والبداية والنهاية ١٧/ ١١٦، والشذرات ٥/ ٨٨،

(٤) لمعة الاعتقاد ص٤و٧.

والسلف لهم قواعد عامة في باب الصفات[١]، وهي :

١-إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو أثبته لـه رسـوله ﷺ، مـن غـير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل .

٢-نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابـه، أو نفـاه عنـه رسـوله ﷺ ، مـع اعتقـاد ثبـوت كـمال ضـده لله تعـالى؛ لأن الله أعلـم بنفـسه مـن خلقـه، ورسوله أعلم الناس بربه، فنفي الموت عنه يتضمن كـمال حياتـه، ونفـي الظلم عنه يتضمن كمال عدله، ونفي النوم عنه يتضمن كمال قيّوميّته.

٣-صفات الله ﷻ توقيفية، فلا يثبت منها إلا مـا أثبتـه الله لنفـسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، ولا ينفى عن الله إلا ما نفاه عـن نفـسه، أو نفـاه عنـه رسوله ﷺ.

لأنه لا أحد أعلم بالله من الله تعالى، ولا مخلوق أعلم بخالقـه مـن رسول الله ﷺ.

٤-التوقف في الألفاظ المجملة التي لم يرد إثباتها ولا نفيها، أما معناها فيستفصل عنه، فإن أريد به باطـل، ينـزّه الله عنـه، وإن أريـد بـه حـق لا يمتنع على الله قُبل، مع بيان ما يدل عـلى المعنـى الـصواب مـن الألفـاظ الشرعية، وترك الألفاظ المجملة الموهمة .

(١) ينظـر: صـفات الله ﷻ الـواردة في الكتـاب والـسنة، لعلـوي الـسقاف ص٢٠ ومـا بعـدها، والتدمرية، لابـن تيميـة ، والقواعـد المـثلى، لابـن عثيمـين، ومـنهج ودراسـات لآيـات الأسـماء والصفات، للشنقيطي.

٥-كل صفة ثبتت بالنقل الصحيح؛ وافقت العقل الصريح، ولابد.

٦-قطع الطمع عن إدراك حقيقة الكيفية، قال تعالى: ﴿ ولا يحيطون به علماً ﴾(١).

٧-صفات الله تثبت على وجه التفصيل، وتنفى على وجه الإجمال.

فالإثبات المفصل، كإثبات السمع والبصر وسائر الصفات، والنفي المجمل كنفي المثلية في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾

٨-كل اسم ثبت لله ﷻ ؛ فهو متضمن لصفة، ولا عكس.

مثاله: اسم الله: الرحمن، فإنه يتضمن صفة الرحمة، والكريم يتضمن صفة الكرم، واللطيف يتضمن صفة اللطف.. لكن صفاته مثل الإرادة، والإتيان، والاستواء، لا نشتق منها أسماء، فنقول: المريد، والآتي، والمستوي.

٩-صفات الله كلها صفات كمال، لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

١٠- صفات الله ذاتية وفعلية، والصفات الفعلية متعلقة بأفعاله، وأفعاله لا منتهى لها.

١١- دلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة: إما التصريح بها، أو تضمن الاسم لها، أو التصريح بفعل أو وصف دال عليها.

---

(١) سورة طه ١١٠ .

١٢- صفات الله ﷻ يُستعاذ بها، ويحلف بها .

١٣- الكلام في الصفات كالكلام في الذات. فكما أن ذاته حقيقية لا تشبه الذوات، فكذلك صفاته حقيقية لا تشبه الصفات.

١٤- القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر. فمن أقر بصفات الله؛ كالسمع والبصر والإرادة؛ يلزمه أن يقر بمحبة الله ورضاه وغضبه ونحو ذلك.

١٥- ما أضيف إلى الله مما هو غير بائن عنه، فهو صفة له غير مخلوقة، وكل شيء أضيف إلى الله بائن عنه؛ فهو مخلوق، فليس كل ما أضيف إلى الله يستلزم أن يكون صفة له .

مثال الأول: سمع الله، وبصر الله، ورضاه، وسخطه.

ومثال الثاني: بيت الله وناقة الله.

١٦- صفات الله ﷻ وسائر مسائل الاعتقاد تثبت بما ثبت عن رسول الله ﷺ وإن كان حديثاً واحداً، وإن كان آحاداً.

١٧- معاني صفات الله ﷻ الثابتة بالكتاب والسنة معلومة، وتُفسر على الحقيقة لا مجاز ولا استعارة فيها ألبتة، أما الكيفية فمجهولة.

١٨- كل ماجاء في الكتاب أو السنة، وجب على كل مؤمن القول بموجبه، والإيمان به، وإن لم يفهم معناه.

١٩- باب الأخبار أوسع من باب الصفات، وما يطلق عليه من الأخبار، لا يجب أن يكون توقيفياً، كالقديم والشيء والموجود.

٢٠- صفات الله ﷻ لا يُقاس عليها .

فلا يقاس السخاء على الجود، ولا الجلد على القوة، ولا المعرفة والإدراك على العلم، ولا الرقة على الرحمة والرأفة .

٢١- صفات الله لا حصر لها؛ لأن كل اسم يتضمن صفة، وأسماء الله لا حصر لها، فمنها ما استأثر الله به في علم الغيب عنده .

ثانياً: أنواع الصفات .

تنقسم الصفات من حيث تعلقها بذات الله وأفعاله إلى قسمين :

الأول: **الصفات الذاتية**، وهي التي لا تنفك عن الذات، بل هي لازمة لها أزلاً وأبداً، وذلك كالحياة، والعلم، والقدرة، والقوة، والملك، والعظمة، والكبرياء، والوجه، والقدم، ونحو ذلك.

الثاني: **صفات فعلية** ، وهي المتعلقة بمشيئة الله وقدرته، إن شاء الله فعلها، وإن شاء لم يفعلها، كالنزول، والغضب، والفرح، والقرب، والضحك، ونحو ذلك، وتسمى: الصفات الاختيارية.

وأفعال الله -سبحانه وتعالى- نوعان :

١-لازمة، كالاستواء، والنزول، والقرب، ونحو ذلك، فهي لازمة لا تتعدى إلى مفعول، بل هي قائمة بالفاعل.

٢-متعدية، كالخلق والإعطاء والإماتة ونحو ذلك، فهي تتعدى إلى مفعول. وقد جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ (١). فذكر الفعلين المتعدي واللازم، وكلاهما حاصل بمشيئته وقدرته، وهو متصف به، سبحانه.

ومن الصفات ما يكون صفة ذات وفعل، مثل: صفة الكلام، والخلق، والرحمة، ونحو ذلك (٢).

والفرق بين الصفات الاختيارية وغيرها من الصفات :

١-أن غيرها من الصفات تجددها أو زوالها يقتضي تغير الموصوف واستحالته، ويقتضي تجدد كمال بعد نقص، أو تجدد نقص بعد كمال، كما في صفات الموجودات كلها، إذا حدث للموصوف ما لم يكن عليه من الصفات. مثل تجدد العلم بما لم يكن يعلمه، والقدرة على ما لم يكن يقدر عليه، ونحو ذلك، أو زوال ذلك، بخلاف الصفات الاختيارية؛ فوجودها في وقتها كمال لا قبله ولا بعده، كما تقتضيه الحكمة الإلهية (٣).

٢-أن الصفات الاختيارية قديمة النوع متجددة الآحاد، كالكلام، والنزول، والخلق، ونحو ذلك، أما غيرها من الصفات كالعلم والقدرة

---

(١) سورة الفرقان ٥٩.

(٢) ينظر: القواعد المثلى، لابن عثيمين ص٢٥، وشرح الهراس، للواسطية ١٠٥-١٠٦، وصفات الله، للسقاف ص٢٧، ومجموع الفتاوى ٦/ ٢٤٤، ومختصر الصواعق، للموصلي ٤٢٩ .

(٣) التسعينية، لابن تيمية، ضمن الفتاوى الكبرى ٦/ ٣٩١.

واليد والوجه ونحو ذلك، فهي صفات قديمة أزلية، وبهذا نعرف خطأ من يطلق على الصفات جميعها بأنها قديمة [1]. ذلك أن المتكلمين يجعلون الصفات الاختيارية قديمة، ويقصدون بذلك نفي أن يقوم بالله تعالى فعل في وقت دون وقت، وهذا هو التعطيل.

(١) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية ٢/ ١٤٧. وينظر: تعليق الشيخ أبابطين على قول العلامة السفاريني: صفات الله قديمة في حاشية البابطين على اللوامع ١/ ١١٢، وينظر: صفة النزول، للغامدي ص٣٧٧-٣٧٨.

الفصل الأول : عقيـدة أهل السنة في القـرب

المبحث الأول : مجمل العقيدة في القرب .

القُرْبُ كالدنو: ضد البُعد، والاقتراب: الدنو، والتقرب: التـدني. وهو ظاهر في اللغة (١). وقرب الشيء بالضم، يقرب قرباناً، أي: دنا، فهو قريب (٢).

وأما مجمل عقيدة أهل السنة في القرب الإلهي فهو الآتي:

يعتقد أهل السنة أن الله ﷻ قريب من عباده قرباً خاصـاً كـما يليـق بجلاله وعظمته (٣)، وهو مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، وأنـه يقـرب إليهم حقيقة، ويدنو منهم حقيقة، ولكـنهم لا يفـسرون كـل قـرب ورد لفظه في القرآن بالقرب الحقيقـي، فقـد يكـون القـرب: قـرب الملائكـة، وذلك حسب سياق اللفظ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: وأما دنـوه وتقربـه مـن بعض عباده؛ فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفـسه، ومجيئـه يوم القيامة ونزوله، واستواءه على العرش، وهذا مـذهب أئمـة الـسلف

---

(١) فتاوى ابن تيمية ٦/ ٢٣.

(٢) ينظر: العين، للخليل بن أحمـد ٣/ ١٤٥٤، ومجمـل اللغـة، لابـن فـارس ٣-٤/ ٧٥٠-٧٥١ والكليات، للكفوي ص٧٢٣، ولسان العرب، لابن منظور ١١/ ٨٢، وتهذيب اللغـة، للأزهـري ٩/ ١٢٢، والمفردات في غريـب القـرآن، للأصـفهاني ٦٦٣، والقـاموس المحـيط، للفيروزآبـادي ص١٥٧ و١٦٥٦ مادة "قرب، ودنا".

(٣) وسيأتي إيراد الأدلة على ذلك.

وأئمة الإسلام المشهورين، وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر[١].

وقال أيضاً: ولا يلزم من جواز القرب عليه أن يكون كل موضع ذكر فيه قربه، يُراد به قربه بنفسه، بل يبقى هذا من الأمور الجائزة، وينظر في النص الوارد، فإن دلّ على هذا؛ حُمل عليه، وإن دل على هذا حمل عليه[٢].

فسلف الأمة وأئمتها يثبتون فوقية الله، واستواءه على عرشه، وأنه بائن من خلقه، وهم منه بائنون، وهو أيضاً مع العباد عموماً بعلمه، ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية، وهو أيضاً قريب مجيب[٣].

وقرب الرب -تبارك وتعالى- إنما ورد خاصاً لا عاماً، فليس في الكتاب ولا في السنة وصفه تعالى بقرب عام من كل موجود[٤]. وإنما ذكر ذلك في بعض الأحوال[٥]. فما " نطق به الكتاب والسنة من قرب الرب من عابديه وداعيه؛ هو مقيّد مخصوص، لا مطلق عام لجميع الخلق "[٦].

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ٤٦٦، وشرح حديث النزول ص١٣٣ .
(٢) مجموع الفتاوى ٦/ ١٤ .
(٣) المصدر السابق ٥/ ٢٣١.
(٤) مجموع الفتاوى ٥/ ٤٩٤، والروضة الندية شرح الواسطية، للشيخ زيد بن فياض ص٢١٦.
(٥) مجموع الفتاوى ٥/ ٢٣٦.
(٦) من فتاوى ابن تيمية ٥/ ٢٤٧.

وقد أثبت السلف الصالح -رحمهم الله- صفة القرب لله تعالى على حقيقته، كما يليق بجلاله وعظمته، وقالوا: إن قربه لا ينافي علوه وفوقيته، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته، وهو علي في دنوه، قريب في علوه [١].

وأهل السنة حين يثبتون صفة القرب لله حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته ؛ فلا يعنون أن ذات الله قريبة من كل مخلوق، فإنه لم يقل أحد من السلف: إن نفس ذاته تعالى قريبة من كل موجود [٢]. فقرب ذات الله من العباد خصوصاً وعموماً ليس عليه دليل ينص عليه لا من القرآن ولا من السنة [٣].

ويقرر السلف أن قرب الله هو من لوازم ذاته، مثل العلم والقدرة، فلا ريب أنه قريب بعلمه وقدرته وتدبيره من جميع خلقه، لم يزل بهم عالماً، ولم يزل عليهم قادراً، هذا مذهب جميع أهل السنة وعامة الطوائف، إلا من ينكر علمه القديم، أو ينكر قدرته على الشيء قبل كونه من الرافضة والمعتزلة وغيرهم [٤].

---

(١) ينظر: التوحيد، لابن منده ٣/ ١٢٥، وفتاوى ابن تيمية ٣/ ١٤٣، و٥/ ٤٦٦ و٥١٠، وشرح الهراس للواسطية ص٢٣٠، وشرح الشيخ صالح الفوزان للواسطية ص١٠١-١٠٢، وتفسير المنار ٢/ ١٦٨، وتفسير القاسمي ٣/ ٤٣١ .

(٢) شرح حديث النزول، لابن تيمية ص١٢٦ .

(٣) إثبات علو الله للشيخ حمود التويجري ص١٥١ .

(٤) مجموع الفتاوى ٦/ ١٣ .

ويبيّن أهل السنة أن ما يوصف به الله من هذه الصفة، لا يشابه فيها وصف المخلوق بها، فالله ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ومن ظنَّ أن ما يوصف به الرب ﷻ من القرب لا يكون إلا مثل ما توصف به أبدان بني آدم؛ فغلطه عظيم (١).

وقرب الله ﷻ لا ينافي كمال مباينة الرب لخلقه واستوائه على عرشه، بل يجامعه ويلازمه (٢)، فإنه ليس كقرب الأجسام بعضها من بعض، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (٣).

" وأصل هذا أن قربه سبحانه ودنوه من بعض مخلوقاته؛ لا يستلزم أن تخلو ذاته من فوق العرش، بل هو فوق العرش، ويقرب من خلقه كيف يشاء، كما قال ذلك من قاله من السلف " (٤).

ومن العلماء الذين قالوا ذلك الإمام أحمد بن حنبل (٥)، قال في رسالته إلى مسدد ابن مسرهد(٦): وينزل الله إلى السماء الدنيا، ولا يخلو منه

(١) المصدر السابق ٥/ ٤٥٩ .

(٢) سيأتي الكلام عن بيان العلاقة بين القرب وبعض الصفات .

(٣) مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٢٦٦ .

(٤) من مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ٤٦٠.

(٥) هو أحمد بن محمد بن حنبل، إمام أهل السنة، أبو عبد الله الشيباني، ولد سنة ١٦٤هـ، وتلقى العلم عن الأكابر، وامتحن في بدعة القول بخلق القرآن، وثبت فيها، وحفظ الله به السنة، توفي سنة ٢٤١هـ. ينظر: السير: ١١/ ١٧٧، والجرح والتعديل ١/ ٢٩٢ ، وحلية الأولياء، لأبي نعيم ٩/ ١٦١ وبتفصيل: مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي .

(٦) هو مسدد بن مسرهد بن مسربل، الإمام الحافظ الحجة أبو الحسن الأسدي، أحد أعلام الحديث. ولد في حدود خمسين ومائة وتوفي سنة ٢٢٨هـ. ينظر:السير ١٠/ ٥٩١ والجرح والتعديل ٨/ ٤٣٨، وطبقات الحنابلة ١/ ٣٤١، والشذرات ٢/ ٦٦ .

العرش [١]. وكذلك الإمام ابن راهويه [٢]، قال: دخلت يوماً على عبد الله بن طاهر [٣]، فقال: ما هذه الأحاديث التي تروونها؟ قلت: أي شيء أصلح الله الأمير؟ قال: تروون أن الله ينزل إلى السماء الدنيا، قلت: نعم، رواها الثقات الذين يروون الأحكام. قال: ينزل ويدع عرشه؟ قلت: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو العرش منه [٤].

وإنما اشتبه هذا على كثير من الناس؛ لأنهم يظنون أن ما يوصف الله ﷻ به من جنس ما توصف به أجسامهم، فيرون ذلك يستلزم الجمع بين

---

(١) شرح حديث النزول، لابن تيمية ص٤٧، وإبطال التأويلات، لأبي يعلى ص٢٦١.

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، الإمام الكبير سيد الحفاظ، أبو يعقوب المروزي، ولد سنة ١٦١هـ وكان حافظاً رأساً في الفقه من أئمة الاجتهاد. توفي سنة ٢٣٨هـ. ينظر: السير ١١/ ٣٥٨، والجرح والتعديل ٢/ ٢٠٩، وتاريخ بغداد ٦/ ٣٤٥، ووفيات الأعيان، لابن خلكان ١/ ١٩٩، والشذرات ٢/ ٨٩.

(٣) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب، الأمير أبو العباس حاكم خراسان، كان أميراً عادلاً، توفي سنة ٢٣٠هـ. ينظر: السير ١٠/ ٦٨٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٨٣، والكامل، لابن الأثير ٧/ ١٤، والعبر، للذهبي ١/ ٣٥٧.

(٤) العلو للذهبي (المختصر١٩٢) قال العلامة الألباني: إسناده صحيح، شرح حديث النزول ص٤٣.

ومسألة خلو العرش، لأهل الحديث فيها ثلاثة أقوال:

الأول: منهم من ينكر أن يقال: يخلو أو لايخلو، كما يقول ذلك الحافظ عبد الغني وغيره، وهو قول كثير من أهل الحديث.

الثاني: ومنهم من يقول: بل يخلو منه العرش، وقد صنف عبد الرحمن بن منده مصنفاً في الإنكار على من قال: لا يخلو من العرش، أو لا يخلو منه العرش.

الثالث: ومنهم من يقول: لا يخلو منه العرش مع نزوله إلى السماء الدنيا ودنوه، وقد رجح ابن تيمية هذا القول، وقال: هو المأثور عن سلف الأمة، والله أعلم.

ينظر: مجموع الفتاوى الكبرى ٥/ ٤١٤-٤١٥ .

الضدين، فإن كونه فوق العرش مع نزوله يمتنع في مثل أجسامهم، لكن مما يسهل عليهم معرفة إمكان هذا معرفة أرواحهم وصفاتها وأفعالها، وأن الروح قد تخرج من النائم إلى السماء، وهي لم تفارق البدن، كما قال تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [1]. وإذا قبضت الروح عرج بها إلى الله في أدنى زمان، ثم تعاد إلى البدن، فتسأل، وهي في البدن[2]، كما ثبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((**إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، فيأتيه ملكان، فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقول له: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة**)) [3].

فمذهب السلف في نزول الله وقربه واضح صريح، وإثباتهم له كإثبات سائر الصفات، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

(١) سورة الزمر ٤٢.

(٢) مجموع فتاوى ابنة تيمية ٥/ ٥٢٣-٥٢٤ .

(٣) صحيح البخاري ١٣٣٨ و١٣٧٤ وصحيح مسلم ٢٨٧٠ .

والكلام على قرب الله ودنوه ونظير ذلك من الصفات كالنزول والمجيء ونحوهما، يقودنا إلى الكلام على مسألة الحركة والانتقال، وهل يصح إطلاقها على الله ﷻ ؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لفظ الحركة، هل يوصف الله بها أم يجب نفيه عنه؟ اختلف فيه المسلمون وغيرهم من أهل الملل، وغير أهل الملل من أهل الحديث، وأهل الكلام، وأهل الفلسفة، وغيرهم على ثلاثة أقوال، وهذه الثلاثة موجودة في أصحاب الأئمة الأربعة من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم. ثم شرع رحمه الله في بيان معنى الحركة عند المتكلمين والفلاسفة، ثم قال: والمقصود هنا أن الناس متنازعون في جنس الحركة العامة التي تتناول ما يقوم بذات الموصوف من الأمور الاختيارية، كالغضب والرضى والفرح، وكالدنو والقرب والاستواء والنزول، بل والأفعال المتعدية كالخلق والإحسان وغير ذلك على ثلاثة أقوال.

أحدها: قول من ينفي ذلك مطلقاً، وبكل معنى، وأول من عرف بذلك هم الجهمية والمعتزلة.

الثاني: إثبات ذلك، وهو قول الهشامية[١]، والكرامية، وغيرهم من طوائف أهل الكلام الذين صرحوا بلفظ الحركة.

وذكر عثمان بن سعيد الدارمي إثبات لفظ الحركة، ونصره على أنه قول أهل السنة والحديث، وذكره حرب بن إسماعيل الكرماني[٢] – لما ذكر مذهب أهل السنة والأثر – عن أهل السنة والحديث قاطبة، وذكر من لقي منهم على ذلك: أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهوية، وغيرهم.

وكثير من أهل الحديث والسنة يقول: المعنى صحيح، لكن لا يطلق هذا اللفظ؛ لعدم مجيء الأثر به، كما ذكر ذلك أبو عمر بن عبد البر[٣]، وغيره في كلامهم على حديث النزول.

والقول المشهور عن السلف عند أهل السنة والحديث هو الإقرار بما ورد في الكتاب والسنة، من أنه يأتي، وينزل، وغير ذلك من الأفعال اللازمة.

---

(١) الهشامية: أتباع هشام بن الحكم الرافضي الذي شبه معبوده بالإنسان، وهناك هشامية أتباع هشام بن سالم الجواليقي، وقوله قريب من قول ابن الحكم. ينظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي ص٢٠٨، والملل والنحل، للشهرستاني ١٨٤ .

(٢) هو حرب بن إسماعيل الكرماني، الإمام العلامة أبو محمد الفقيه، تلميذ الإمام أحمد. توفي سنة ٢٨٠هـ. ينظر: السير ١٣/ ٢٤٤، والجرح والتعديل ٣/ ٢٥٣، وطبقات الحنابلة ١/ ١٤٥، والشذرات ٢/ ١٧٦ .

(٣) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، الإمام العلامة، أبو عمر الأندلسي المالكي، ولد سنة ٣٦٨هـ وتوفي سنة ٤٦٣هـ. ينظر: السير ١٨/ ١٥٣، ووفيات الأعيان ٧/ ٦٦، والعبر ٣/ ٢٥٥، والشذرات ٣/ ٣١٤ .

قال أبو عمر الطلمنكي [١]: أجمعوا -يعني أهل السنة والجماعة- على أن الله يأتي يوم القيامة والملائكة صفاً صفاً لحساب الأمم وعرضها كما يشاء، وكيف يشاء؛ قال تعالى: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ** ﴾ [٢]. وقال تعالى: ﴿ **وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾ [٣]. قال: وأجمعوا على أن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا على ما أتت به الآثار، كيف شاء، لا يحدون في ذلك شيئاً.

والقول الثالث: الإمساك عن النفي والإثبات، وهو اختيار كثير من أهل الحديث والفقهاء والصوفية، كابن بطة [٤] وغيره، وهؤلاء فيهم من يعرض بقلبه من تقدير أحد الأمرين، ومنهم من يميل بقلبه إلى أحدهما، ولكن لا يتكلم لا بنفي ولا بإثبات .

والذي يجب القطع به أن الله ليس كمثله شيء في جميع ما يصف به نفسه، فمن وصفه بمثل صفات المخلوقين في شيء من الأشياء، فهو مخطئ قطعاً، كمن قال: إنه ينزل فيتحرك وينتقل كما ينزل الإنسان من السطح إلى أسفل الدار، كقول من يقول: إنه يخلو منه العرش، فيكون

---

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد الله أبو عمر المعافري الأندلسي الطلمنكي، نسبة إلى مدينة طلمنك كان من بحور العلم. توفي سنة ٤٢٩هـ. ينظر: السير ١٧/ ٥٦٦، والشذرات ٣/ ٢٤٣.

(٢) سورة البقرة ٢١٠.

(٣) سورة الفجر ٢٢.

(٤) هو عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان، الإمام شيخ العراق، أبو عبد الله العكبري، صاحب الإبانة، ولد سنة ٣٠٤هـ، وتوفي سنة ٣٨٧هـ. ينظر: السير ١٦/ ٥٢٩، وتاريخ بغداد ١٠/ ٣٧١، والشذرات ٣/ ١٢٢ .

نزوله تفريغاً لمكان، وشغلاً لآخر، فهذا باطل يجب تنزيه الرب عنه كما تقدم [١].

وقال: والمنصوص عن الإمام أحمد إنكار نفي ذلك، ولم يثبت عنه إثبات لفظ الحركة، وإن أثبت أنواعاً قد يدرجها المثبت في جنس الحركة، فإنه لما سمع شخصاً يروي حديث النزول، ويقول: ينزل بغير حركة ولا انتقال ولا بغير حال، أنكر أحمد ذلك، وقال: قل كما قال رسول الله ﷺ، فهو كان أغير على ربه منك.

وقد نقل في رسالة عنه إثبات لفظ الحركة مثل ما في العقيدة التي كتبها حرب ابن إسماعيل، وليست هذه العقيدة ثابتة عن الإمام أحمد بألفاظها، فإني تأملت لها ثلاثة أسانيد مظلمة برجال مجاهيل، والألفاظ هي ألفاظ حرب بن إسماعيل، لا ألفاظ الإمام أحمد، ولم يذكرها المعنيون بجمع كلام الإمام أحمد [٢].

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ٥٦٥ – ٥٧٨ بتصرف.

(٢) الاستقامة ١/ ٧٢-٧٣. وينظر: مختصر الصواعق ٢/ ٢٥٧، وشرح لامية ابن تيمية، للمرداوي٦٢، واللوامع، للسفاريني ١/ ٢٥٠، واللوائح، له ١/ ٣٤١.

المبحث الثاني :

أنواع القـرب .

تقدم أن القرب لا يقع في القرآن إلا خاصاً لا عاماً، وهو ثلاثة أنواع:

١-قرب من الداعي بالإجابة، ودليله قوله –تعالى-: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ**﴾ (١)؛ ولهذا نزلت جواباً للصحابة –رضي الله عنهم- وقد سألوا رسول الله ﷺ: ربنا قريب فنناجيه؟ أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية (٢).

فهنا هو نفسه –سبحانه وتعالى- القريب الذي يجيب دعوة الداع لا الملائكة، وهذا قرب الرب الخاص(٣).

ويدل عليه أيضاً قوله ﷺ : " إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً بصيراً، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته " (٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وذلك أن الداعي يقرب قلبه من ربه فيقرب الرب منه، فهو أقرب إليه من عنق راحلته (٥).

---

(١) سورة البقرة ١٨٦ .

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٢٦٦، وفتاوى ابن تيمية ٥/ ٢٤٧. وينظر: تفسير الطبري ٣/ ٢٢٣، وتفسير ابن كثير ١/ ٣١٣، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ٣١٤ (١٦٦٧) والمؤتلف للدارقطني ٣/ ١٤٣٥.

(٣) شرح النزول ١٢٠ .

(٤) صحيح البخاري ٧٣٨٦ عن أبي موسى.

(٥) شرح حديث النزول ص١٣٢-١٣٣.

٢-قربٌ مِنْ عَابِدِهِ بالإثابة، ودليلُه قوله ﷺ: ((**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد. وأقرب ما يكون الرب من عبده في جوف الليل**))[١] فهذا قرب من أهل طاعته[٢].

٣-قرب حقيقي[٣] من بعض خلقه ممن اختصه الله من بعض عباده من الملائكة أو الأنبياء أو الرسل أو غيرهم.

وهو قرب خاص، كقربه عشية عرفة، وفي جوف الليل، وإلى من تقرب منه شبراً[٤]. ودليله أحاديث قرب الله من بعض عباده الآتي ذكرها، ودنو الله من بعض عباده يوم عرفة ونزوله، وقرب الملائكة وجبريل وبعض الأنبياء والرسل منه، تعالى.

وهناك تقسيم للقرب باعتبار آخر إلى تقرب العبد إلى ربه ودنوه إليه، وتقرب الرب إلى عبده.

وتقرب الرب إلى عبده نوعان: **أحدهما** إلى الآخر، كان من لوازم هذا قرب الآخر إليه، أو القرب من الأمور الإضافية من الجانبين، فيمتنع أن يقرب أحدهما من الآخر إلا والآخر قرب إليه. لكن لا يستلزم هذا أن يكون المتقرب إليه قد وجد منه فعل بنفسه يقرب منه، بل يكون قربه هو

(١) صحيح مسلم عن أبي هريرة (٤٨٢).
(٢) مدارج السالكين ٢/ ٢٦٦.
(٣) وقع في مختصر الصواعق لفظ: قريب من المحسنين بذاته ورحمته قرباً ليس له نظير. ويظهر لي أن الشيخ محمد بن الموصلي، -رحمه الله- تصرف فيها، كما سيأتي بيان ذلك.
(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٥/ ٢٤١.

القرب الذي حصل بفعل المتقرب، كالشيء المتحرك المتقرب إلى الشيء الساكن، فإنه كلّما تقرب إليه قرب الساكن إليه من غير حركة منه. فهذا النوع من قرب الرب إلى عبده، وهو تبع لقرب العبد إلى الله، فمن أثبت قرب ذات الله إلى العبد بهذا الاعتبار وإلا فلا.

وأما **النوع الثاني** من تقرب الرب إلى العبد، فهو تقربه بفعل يقوم بنفسه، كما ورد لفظ المجيء والإتيان والنزول وغير ذلك (١).

وبعض العلماء -كابن سعدي(٢) وغيره- يقسم القرب إلى نوعين: قرب بالعلم من كل الخلق، وقرب من العابدين والداعين بالإجابة والمعونة والتوفيق (٣).

والأظهر أنه -كما تقدم- خاص فقط.

ويحسن أن نلقي الضوء على المسألة التي تطرّق إليها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- وهي قرب العبد من ربه، وكيف أنه يلزم من ذلك قرب الله من العبد؟. فأهل السنة يثبتون أن الله على العرش، وأن حملة العرش أقرب إليه ممن دونهم، وأن ملائكة السماء العليا أقرب إلى الله من ملائكة السماء الثانية، وأن النبي ﷺ لما عرج به إلى السماء صار يزداد قرباً

---

(١) نقض أساس التقديس، لابن تيمية ٢/ ق١٧٣.

(٢) هو عبد الرحمن بن ناصر السعدي، عالم مشارك في أنواع من العلوم، ولد سنة ١٣٠٧هـ، وتوفي في عنيزة سنة ١٣٧٦هـ. ينظر: معجم المؤلفين، لكحالة ٢/ ١٢١-١٢٢، ومقدمة المجموعة الكاملة، لمؤلفات ابن سعدي ط. ومركز صالح بن صالح الثقافي.

(٣) تفسير ابن سعدي ص٨٧.

إلى ربه بعروجه وصعوده، وكان عروجه إلى الله، لا إلى مجرد خلق من خلقه، وأن روح المصلي تقرب إلى الله في السجود، وإن كان بدنه متواضعاً، وهذا هو الذي دلّت عليه نصوص الكتاب[1].

فقرب الشيء من الشيء مستلزم لقرب الآخر منه، لكن قد يكون قرب الثاني هو اللازم من قرب الأول، ويكون منه أيضاً قرب نفسه، فالأول كمن تقرب إلى مكة أو حائط الكعبة، فكلما قرب منه؛ قرب الآخر منه، من غير أن يكون منه فعل، والثاني: كقرب الإنسان إلى من يتقرب هو إليه، فتقرب العبد إلى الله وتقريبه له نطقت به نصوص متعددة، مثل قوله: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ** ﴾[2]، وقوله: ﴿ **فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ** ﴾[3]، وقوله: ﴿ **عَيۡنًا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ** ﴾[4]، وقوله: ﴿ **وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب** ﴾[5]، وكذلك القربان، كقوله: ﴿ **إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانًا** ﴾[6] وفي الحديث: ((**أقرب ما يكون العبد من ربه في جوف الليل الآخر**)). ونحو ذلك لا ريب أنه بعلوم وأعمال يفعلها العبد، وفي ذلك حركة منه وانتقال من حال إلى حال، ثم لا يخلو مع ذلك، إما أن روحه وذاته تتحرك أو لا تتحرك، وإذا تحركت

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٦/ ٧. وسيأتي إيراد بعض هذه النصوص.
(٢) سورة الإسراء ٥٧.
(٣) سورة الواقعة ٨٨.
(٤) سورة المطففين ٢٨.
(٥) سورة العلق ١٩.
(٦) سورة المائدة ٢٧.

فإما أن تكون حركتها إلى ذات الله أو إلى شيء آخر، وإذا كانت إلى ذات الله بقي النظر إلى قرب الله إليه ودنوه وإتيانه ومجيئه، إما جزاءً على قرب العبد، وإما ابتداءً كنزوله إلى سماء الدنيا (١).

كما قرر السلف أن تقرب العبد إلى الله يحصل بحركة بدن العبد إلى بعض الأمكنة المشرفة، التي يظهر فيها الإيمان بالله، من معرفته وذكره وعبادته، كالحج إلى بيته، والقصد إلى مساجده ، ومنه قول إبراهيم: ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (٢). وأما حركة روحه إلى مثل السموات وغيرها من الأمكنة، فأقر به جمهور أهل الإسلام، وأنكره الفلاسفة ومن وافقهم، وحركة روحه أو بدنه إلى الله أقر بها أهل الفطرة وأهل السنة والجماعة، وأنكرها كثير من أهل الكلام (٣).

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/ ٥ و٥/ ٢٤٠. والحديث تقدم تخريجه. وقد ساق ابن تيمية الآيات والأحاديث على ذلك، ثم قال: وأما في الأحاديث النبوية فكثير، وكلام السلف والأئمة وجميع المسلمين من ذكر القرب إلى الله تعالى، وما يقرب إلى الله ونحو ذلك، هذا لا يحصيه إلا الله تعالى. نقض التأسيس جزء ٢/ ق١٨٠، شرح النزول ١٣٣ .

(٢) سورة الصافات ٩٩.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢/ ٣٨٦.

الفصل الثاني : الأدلة على صفة القرب

وبيان كلام السلف في هذه الصفة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأدلة على صفة القرب، وفيه مطلبان :

المطلب الأول: الأدلة من القرآن.

١ -قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [١] قيل في سبب نزولها: أنها نزلت في سائل سأل النبي ﷺ فقال: يا محمد أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله هذه الآية[٢].

وعن الحسن [٣] قال: سأل أصحاب النبيﷺ النبيﷺ : أين ربنا؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي .. ﴾ الآية [٤].

---

(١) سورة البقرة ١٨٦.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٣/ ٢٢٢-٢٢٣، والعظمة، لأبي الشيخ ص٧٧، وتفسير ابن كثير ١/ ١٤٤، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ٣١٤، والمؤتلف للدارقطني ٣/ ١٤٣٥.

(٣) هو الحسن بن أبي الحسن يسار، الإمام الكبير أبو سعيد البصري. ولد في أواخر خلافة عمر ابن الخطاب، ورأى عثمان وطلحة والكبار. توفي سنة ١١٠هـ. ينظر: السير ٤/ ٥٦٣، الحلية ٢/ ١٣١، تهذيب التهذيب لابن حجر ٢/ ٢٦٣، الشذرات ١/ ١٣٦ .

(٤) تفسير الطبري ٣/ ٢٢٣، وتفسير عبد الرزاق ١/ ٧٣ ، وتفسير الماوردي ١/ ٢٠٣، وتأويلات أهل السنة، للماتريدي ص٣٧٧.

قال العلامة الشوكاني[١] -رحمه الله-: يحتمل أن السؤال عن القرب والبعد، كما يدل عليه قوله ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[٢].

وقيل في نزولها: إنها نزلت جواباً لمسألة قوم سألوا النبي ﷺ: أي ساعة يدعون الله فيها، فنزلت هذه الآية[٣].

وروي في سبب نزولها أن اليهود قالوا: يا محمد؟ كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام؟ فنزلت هذه الآية[٤].

وقد فسر الإمام ابن كثير[٥] الآية بحديث: ((**اربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً بصيراً، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**))[٦].

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، الشيخ العلامة، أبو عبد الله الصنعاني، عالم مشارك في أنواع من العلوم، ولد سنة ١١٧٣هـ، وتوفي بصنعاء سنة ١٢٥٠هـ. ينظر: البدر الطالع له ٢/ ٢١٤، وهدية العارفين، للبغدادي ٢/ ٣٦٥، ومعجم المؤلفين ٣/ ٥٤١.

(٢) تفسير الشوكاني ١/ ٢٥٣.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ٣/ ٢٢٣، والدعاء، للطبراني ١٠، ١١، والدر المنثور ١/ ١٩٤.

(٤) ينظر: تفسير ابن الجوزي ١/ ١٨٩. وتفسير ابن عطية ٢/ ١١٧، وتأويلات الماتريدي ٣٧٨.

(٥) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء، الإمام العلامة عماد الدين، أبو الفداء ابن كثير، عالم مشارك في أنواع من العلوم، ولد سنة ٧٠٠هـ وقيل ٧٠١هـ وتوفي سنة ٧٧٤هـ ينظر: الدرر الكامنة ١/ ٣٧٣، والشذرات ٦/ ٢٣١، والبدر الطالع ١/ ١٥٣، ومعجم المؤلفين ١/ ٣٧٣.

(٦) تفسير ابن كثير ١/ ١٤٥.

قال العلامة محمد رشيد رضا[١] -في تفسير الآية-: والمراد أن يؤمنوا بأن الله تعالى قريب منهم، ليس بينه وبينهم حجاب ولا ولي ولا شفيع يبلغه دعاءهم وعبادتهم، أو يشاركه في إجابتهم أو إثابتهم، ليتوجهوا إليه وحده، حنفاء مخلصين له الدين[٢].

ففي الآية إثبات صفة القرب لله على الحقيقة، على ما يليق بجلاله وعظمته، من غير تشبيه بقرب المخلوقين؛ لأن الضمائر في هذه الآية كلها ترجع إلى الله، وعليه فلا يصح أن يحمل القرب فيها على قرب الرحمة أو الإنعام أو غيرها؛ لأنه خلاف الظاهر، ويقتضي تشتيت الضمائر بدون دليل.

وبيّن العلامة القاسمي[٣] -رحمه الله- وجه اقتران القرب في الآية بالإجابة بقوله: فهو سبحانه قريب ممن دعاه، ثم ذكر حديث: " أيها الناس اربعوا على أنفسكم..." فقال: إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم، ولم يقل: إنه قريب من كل موجود، وكذلك قول صالح -عليه السلام-: ﴿ فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [٤]،

(١) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد بن محمد بن علي القلموني البغدادي الأصل، الحسيني، عالم محدث مفسر أديب، ولد سنة ١٢٨٢هـ وتوفي سنة ١٣٥٤هـ. ينظر: المجددون في الإسلام، للصعيدي ٥٣٩، والأعلام، للزركلي ٦/ ٣٦١، ومعجم المؤلفين ٣/ ٢٩٣ .

(٢) تفسير المنار ٢/ ١٦٧ .

(٣) هو جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي، علامة الشام. ولد سنة ١٢٨٣هـ، وتوفي سنة ١٣٣٢هـ. ينظر: الأعلام ٢/ ١٣١، ومعجم المؤلفين ١/ ٥٠٤.

(٤) سورة هود ٦١ . وسيأتي الكلام عن هذه الآية.

ومعلوم أن قوله ﴿ قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ مقرون بالتوبة والاستغفار، أراد به قريب مجيب لاستغفار المستغفرين التائبين إليه، كما أنه رحيم ودود. وقد قرن القريب بالمجيب، ومعلوم أنه لا يقال: مجيب لكل موجود، وإنما الإجابة لمن سأله ودعاه، فكذلك قربه -سبحانه وتعالى- وأسماء الله المطلقة كاسمه السميع والبصير والغفور والشكور والمجيب والقريب، لايجب أن تتعلق بكل موجود، بل يتعلق كل اسم بما يناسبه [1].

٢-قولـه تعـالى: ﴿ فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [2].

إن اقتران القرب بالإجابة في الآيـة يفيـد أن قـرب الإجابـة أحـد أنواع القـرب، فهـي كقولـه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [3]. قال العلامة البغوي [4]: قريـب مـن المـؤمنين مجيب لدعائهم [5].

(١) تفسير القاسمي ١٥/ ٥٤٩٢. وينظر: في تفسير العلماء للقرب في الآية بالإجابة: تفسير الشوكاني ١/ ٢٥٣، وتفسير الماوردي ١/ ٢٠٣، وتفسير ابن عطية ٢/ ١١٧، وبعضهم يفسرها بالقدرة . ينظر: تفسير ابن عطية ٢/ ١١٧. وبعضهم بالعلم، ينظر: تفسير الواحدي ١/ ١٥٢، وتفسير البغوي ١/ ٢٠٤، وتفسير القرطبي ١/ ٣٠٨، وتفسير ابن بدران المسمى جواهر الأفكار ٥١٠. وبعضهم بأقوال أخرى ترد أثناء حكاية آراء المخالفين في صفة القرب والرد عليها .

(٢) سورة هود ٦١.

(٣) سورة البقرة ١٨٦. من تفسير ابن كثير ١/ ٦٦١ .

(٤) هو الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بابن الفراء البغوي، الشيخ العلامة، أبو محمد الشافعي، عالم مفسر فقيه. توفي سنة ٥١٦هـ. ينظر: وفيات الأعيان ١/ ٤٠٢، وطبقات الشافعية الكبرى، للسبكي ٤/ ٢١٤، والشذرات ٤/ ٤٨، ومعجم المؤلفين ١/ ٦٤٤ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ١٨٥ .

٣-قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [١].

قال شيخ المفسرين الطبري[٢]: يقول: إن ربي سميع لما أقول لكم، حافظ له، وهو المجازي لي على صدقي في ذلك، قريب مني، غير بعيد، فيتعذّر عليه سماع ما أقول لكم، وما تقولون وما يقوله غيرنا، ولكنه قريب من كل متكلم، يسمع كل ما ينطق به، وهو أقرب إليه من حبل الوريد [٣].

" فهو قريب يجيب دعوة الداع إذا دعاه، كما قال ﷺ: "إنكم لا تدعون..." [٤].

قال العلامة الشوكاني -في تفسيرها-: فالله قريب مني ومنكم، يعلم الهدى والضلالة [٥].

ومن الآيات التي استدلّ بها بعض العلماء على إثبات صفة القرب لله:

١-قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [٦].

---

(١) سورة سبأ ٥٠ .

(٢) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة. ولد سنة ٢٢٤هـ وتوفي سنة ٣١٠هـ. ينظر: السير ١٤/ ٢٦٧، وتاريخ بغداد ٢/ ١٦٢، ووفيات الأعيان ٤/ ١٩١، وطبقات السبكي ٣/ ١٢٠، والشذرات ٢/ ٢٦٠.

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ٣٠٨.

(٤) من تفسير ابن كثير ٢/ ١٠٩٢.

(٥) تفسير الشوكاني ٤/ ٣٢٤ .

(٦) سورة الأعراف ٥٦.

قال الإمام ابن القيم[١] -رحمه الله-: والذي عندي أن الرحمة لما كانت من صفات الله تعالى، وصفاته قائمة بذاته، فإذا كانت قريبة من المحسنين، فهو قريب سبحانه منهم قطعاً. ويوضح ذلك أن الإحسان يقتضي قرب العبد من ربه، فيقرب ربه منه إليه بإحسانه، تقرب تعالى إليه. فإنه من تقرب منه شبراً يتقرب منه ذراعاً[٢].

ويقرر علماء اللغة[٣] أن القريب في اللغة بمعنى القرب ومعنى المسافة، فتقول العرب: هذه امرأة قريبة منك إذا كانت بمعنى القرابة، وقريب منك إذا كانت بمعنى المسافة[٤].

٢-قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾[٥] قال الطبري: يقول: وهو الباطن جميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلى شيءٍ منه، كما قال: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[٦].

---

(١) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، الإمام العلامة شمس الدين أبو عبد الله الشهير بابن القيم. ولد سنة ٦٩١هـ. ولازم شيخ الإسلام ابن تيمية وتفقه به، وتوفي سنة ٧٥١هـ. ينظر: الدرر الكامنة ٣/ ٤٠٠، والوافي بالوفيات ٢/ ٢٧٠، والبدر الطالع، للشوكاني ٢/ ١٤٣.

(٢) مختصر الصواعق ص٤٦٠. وينظر: النقول الصحية الواضحة الجلية، للشيخ علي بن عبد الله الحواس ص٦٤-٦٦.

(٣) ينظر: الصحاح ١/ ١٩٨، والعين ٣/ ١٤٥٤، وتهذيب اللغة ٩/ ١٢٤-١٢٥، والكليات ص٧٢٤.

(٤) ينظر: تفسير البغوي ٣/ ٢٣٨، وتفسير ابن الجوزي ٣/ ٢١٦.

(٥) سورة الحديد ٣.

(٦) سورة ق ١٦. ينظر: تفسير الطبري ٢٢/ ٣٨٥، وتفسير القاسمي ١٦/ ٥٦٧٢.

وقال أبو حيان[١] -في تفسير اسم الباطن-: إحاطته بكل شيء لقربه[٢]. وقال مقاتل:[٣]-في تفسير الباطن-: أقرب من كل شيء، وإنما يعني بالقرب: بعلمه وقدرته، وهو فوق عرشه، وهو بكل شيء عليم[٤]. وقال العلامة زيد بن فياض -رحمه الله-: فيه بيان قرب الرب تعالى من عباده [٥].

والذي يظهر لي أنه ليس معنى الباطن: القرب، ولا لفظ الباطن يدل عليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله -بعد نقله قول مقاتل-: وهذا ليس مشهوراً عن مقاتل، ولم يجزم بما قاله، بل قال: بلغنا، وهو الذي فسر الباطن بالقريب، ثم فسر القرب بالعلم والقدرة، ولا حاجة إلى هذا، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: ((**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس**

(١) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الشيخ العلامة أبو حيان الأندلسي، ولد سنة ٦٥٤هـ، وتوفي سنة ٧٤٥هـ. ينظر: طبقات السبكي ٦/ ٣١، والدرر الكامنة، لابن حجر ٤/ ٣٠٢، وفوات الوفيات، للكتبي ٢/ ٢٨٢، والشذرات ٦/ ١٤٥.

(٢) نقله الماوردي في تفسيره ٤/ ١٨٣.

(٣) هو مقاتل بن سليمان، كبير المفسرين أبو الحسن البلخي، كان من المشبهة. توفي سنة نيف وخمسين ومائة. ينظر: السير ٧/ ٢٠١، والجرح والتعديل ٨/ ٣٥٤، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٢٧٩، والشذرات ١/ ٢٢٧.

(٤) ينظر: الأسماء والصفات، للبيهقي ٩١٠، وتفسير السيوطي ١٤/ ٢٦١.

(٥) الروضة الندية شرح الواسطية ص٢١٥.

فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء)) (١). فليس معنى الباطن القرب، ولا لفظ الباطن يدل على ذلك (٢).

٣-قوله ﷻ: ﴿ **وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ** ﴾ (٣). قيل في معناها: إنه تعالى قريب من قلب العبد، لا يخفى عليه شيء، فهي -كما قال قتادة(٤)-: كقوله: ﴿ **أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ** ﴾ (٥).

وقال الحسن -في تفسيرها-: في القرب منه (٦).

ونقل ابن كثير قول قتادة المتقدم، وقال: وقد وردت أحاديث عن رسول الله ﷺ بما يناسب هذه الآية، ثم ساق أحاديث قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء(٧)... وهذا يفيد عنده أنه يؤخذ من الآية أن الله يقرب من عباده قرباً خاصاً به كما يليق بجلاله.

---

(١) صحيح مسلم رقم ٢٧١٣ عن أبي هريرة.

(٢) شرح حديث النزول ص١٢٤-١٢٥، ومجموع الفتاوى ٥/ ٤٩٨-٤٩٩ .

(٣) سورة الأنفال ٢٤.

(٤) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، حافظ العصر، قدوة المفسرين، أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير، ولد سنة ٦٠هـ وتوفي سنة ١١٨هـ. ينظر: السير ٥/ ٢٦٩، والجرح والتعديل ٧/ ١٣٣، ووفيات الأعيان ٤/ ٨٥، وطبقات المفسرين، للداوودي ٢/ ٤٣.

(٥) ينظر: تفسير الطبري ١١/ ١١٢، وتفسير عبد الرزاق ١/ ٢٥٧، وتفسير الماوردي ٢/ ٩٤، وتفسير ابن عطية ٦/ ٢٥٩، وتفسير ابن الجوزي ٣/ ٣٣٩، وتفسير القاسمي ٨/ ٢٩٧٦ .

(٦) ينظر: تفسير الشوكاني ٢/ ٣١٨، وتفسير السيوطي ٧/ ٨٥ وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٧) ينظر: صحيح مسلم رقم ٢٦٥٤ عن ابن عمرو. وعن أنس عند الترمذي رقم ٢١٤٠ وابن ماجه ٣٨٣٤ وأحمد في المسند ٣/ ١١٢ بإسناد قوي على شرط مسلم. وقول ابن كثير في تفسيره ١/ ٥٦٥.

٤-قوله ﷻ: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾[١] عند من يرى أن الذي دنا هو الله ﷻ. فالدنو في لغة العرب: القرب، والتدلي الزيادة في القرب[٢]. فدنا الرب سبحانه من محمدﷺ فتدلى وقرب منه.

وإثبات الدنو لله في هذه الآية هو قول أنس[٣] ﷺ، وابن عباس -رضي الله عنهما- قال: دنا ربه، فتدلى[٤]. وهو اختيار مقاتل[٥]. وقوله تعالى: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾[٦] إشارة إلى تأكيد القرب[٧].

وقد جاء في إثبات دنو الله ﷻ في تفسير هذه الآية حديث، ولفظه: " ودنا الجبار رب العزة، فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى "[٨].

وهذه الرواية قد ضاق بها المؤولة ذرعاً، قال الخطابي[٩] -وهو أحد من أوّل في هذه الصفة-: ليس في هذا الكتاب -يعني الصحيح-

---

(١) سورة النجم ٨.
(٢) تفسير ابن الجوزي ٨/ ٦٥. وينظر: الكليات ٤٥٢، والصحاح ٦/ ٢٣٤١، ومجمل اللغة ١-٢/ ٣٣٦، وتهذيب اللغة ١٤/ ١٨٨.
(٣) ينظر: تفسير البغوي ٧/ ٤٠٢، وتفسير ابن عطية ١٤/ ٨٩.
(٤) ينظر: تفسير الطبري ٢٢/ ١٤، ومعجم الطبراني الكبير ١١٣٢٨، وتفسير السيوطي ٦/ ١٢٣.
(٥) كما في تفسير ابن الجوزي ٨/ ٦٦.
(٦) سورة النجم ٩.
(٧) تفسير البغوي ٧/ ٤٠٢.
(٨) صحيح البخاري رقم ٧٥١٧ عن أنس.
(٩) هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب، الشيخ العلامة، أبو سليمان الخطابي، ولد سنة بضع عشرة وثلاثمائة، وتوفي سنة ٣٨٨هـ. ينظر: السير ١٧/ ٢٣، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠١٨، والعبر ٣/ ٣٩، وطبقات السبكي ٣/ ٢٨٢، والشذرات ٣/ ١٢٧.

حديث أبشع ظاهراً، ولا أبشع مذاقاً من هذا الحديث، فإنه يقتضي تحديد المسافة بين أحد المذكورين وبين الآخر، وتمييز مكان كل واحد منهما، هذا إلى ما في التدلي من التشبيه والتمثيل له بالشيء الذي يعلو من فوق إلى أسفل[١]. وسيأتي الكلام مبسوطاً على ما ذكره الخطابي في سياق الكلام عن آراء المخالفين في صفة القرب والرد عليها.

وقد استدل أبو الحسن الأشعري[٢] بهذه الآية على قرب الله من عباده[٣].

٥-قال بعض العلماء[٤] إن معنى ﴿ق﴾ في سورة ق هو قرب الله من عباده، بيانه ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[٥].

وهذا التفسير لا دليل عليه، فلا يصح، ولا يعتد به.

ومما يستدل به على قرب الله : ما جاء في القرآن الكريم من قرب الله من بعض عباده، وتقريبه بعض خلقه إليه، قال ابن تيمية: وهذا كقربه

(١) أعلام الحديث ٤/ ٢٣٥٢، ونقله الحافظ ابن حجر في الفتح ١٣/ ٤٨٣ .

(٢) هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر، العلامة أبو الحسن الأشعري، ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري. ولد سنة ٢٦٠هـ، وكان معتزلياً، ثم قرر مذهب ابن كلاب، ثم رجع في آخر حياته إلى مذهب أهل السنة، توفي سنة ٣٣٠هـ. ينظر: السير ١٥/ ٨٥ وتاريخ بغداد ١١/ ٣٤٦، وطبقات السبكي ٣/ ٣٤٧، والشذرات ٢/ ٣٠٣.

(٣) الإبانة عن أصول الديانة ص١٢، ونقله شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ٥/ ٩٥. وبعض أهل العلم يقولون: الصحيح أن الذي دنا في الآية هو جبريل، عليه السلام. ينظر: شرح النونية، لابن عيسى ١/ ٤١١، وشرح الطحاوية ص٢٧٦، وزاد المعاد، لابن القيم ٣/ ٣٨.

(٤) هو محمد بن عاصم الأنطاكي، ولم أجد له ترجمة.

(٥) تفسير القرطبي ١٩/ ٤٢٧ .

إلى موسى لما كلمه من الشجرة، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٨ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ (١) وقال في السورة الأخرى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٢٩ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥١ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴾ (٣). فأخبر أنه ناداه من جانب الطور، وأنه قربه نجيا، وقال تعالى: ﴿ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ (٤).

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (٥): كان ذلك النار، قال الله من في النور، ونودي أن بورك من في النور.

---

(١) سورة النمل ٧-١٠ .
(٢) سورة القصص ٢٨-٣٠ .
(٣) سورة مريم ٥١-٥٢ .
(٤) سورة النازعات ١٦.
(٥) سورة النمل ٨ .

وقال أيضاً: يعني نفسه، قال: كان نور رب العالمين في الشجرة ومن حولها [١]. ثم ذكر -رحمه الله- آثاراً من بعض التابعين تؤيد ذلك، ثم قال: وذكر أنه قربه نجيا، فناداه وناجاه، وذلك المنادي له والمناجي له هو الله رب العالمين لا غيره، ونداؤه ومناجاته قائمة به، ليس ذلك مخلوقاً منفصلاً عنه، كما يقوله من يقول: إن الله لا يقوم به كلام، بل كلامه منفصل عنه مخلوق، وهو -سبحانه وتعالى- ناداه، وناجاه ذلك الوقت، كما دلَّ عليه القرآن، لا كما يقوله من يقول: لم يزل منادياً مناجياً له، ولكن ذلك الوقت خلق فيه إدراك النداء القديم الذي لم يزل ولا يزال. فهذان قولان مبتدعان لم يقل واحداً منهما أحد من السلف.

وإذا كان المنادي هو الله رب العالمين، وقد ناداه من موضع معين وقربه إليه؛ دلّ ذلك على ما قاله السلف من قربه ودنوه من موسى -عليه السلام- مع أن هذا أقرب مما دون السماء [٢].

ويذكر بعض العلماء أن في قوله تعالى: ﴿ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [٣] ما يفيد القرب إلى الله وجواره في الجنة [٤].

(١) ينظر: تفسير الطبري ١٨/ ١٠-١١، وتفسير ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٤٥، وتفسير مجاهد ٥١٦، وتفسير السيوطي ١١/ ٣٣٤.

(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ٤٦٠-٤٦٤ بتصرف، وينظر في أقوال الأئمة في تقريب الله لموسى استدلالاً بقوله: **{وقربناه نجيا}**:إبطال التأويلات، لأبي يعلى ١/ ٢٣٠ (٢٢٣) والزهد، لهناد١/ ١١٨، ومختصر العلو ١٣٢، واجتماع الجيوش الإسلامية ٢٥٥-٢٥٦.

(٣) سورة الزمر ٥٦.

(٤) ينظر: تفسير ابن الجوزي ٧/ ١٩٢، تفسير الماوردي ٣/ ٤٧٣، تفسير العز بن عبد السلام ٥/ ٣٤٧، تفسير الشوكاني ٤/ ٤٥٤.

وتقدم أن من أنواع القرب: قرب الله إلى عبده بتقريبه له بفعل الطاعات، والتخلص من المعاصي والشوائب، وهذا الأمر جاءت به الآيات القرآنية، وقد تقدم بيانها [١].

المطلب الثاني : الأدلة من السنة .

١-قال أبو موسى الأشعري ﷺ : كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا فقال: ((**اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، تدعون سميعاً بصيراً قريباً...**)) [٢] وبلفظ: ((**إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم**)) [٣]. وبلفظ: ((**والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم**)) [٤].

قال ابن بطال [٥]: في هذا الحديث إثبات كونه سميعاً بصيراً قريباً يستلزم أن لا تصح أضداد هذه الصفات عليه [٦].

٢-قوله ﷺ : ((**يقول الله تعالى: .. وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً، تقربت إليه باعاً...**)) [٧].

---

(١) ينظر: ص٢٦ .
(٢) صحيح البخاري رقم ٧٣٨٦ ومعنى اربعوا: ارفقوا. الفتح ١٣/ ٣٧٤.
(٣) صحيح مسلم ٢٧٠٤ عن أبي موسى (٤٤).
(٤) صحيح مسلم ٢٧٠٤ (٤٦).
(٥) هو علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، الشيخ العلامة أبو الحسن القرطبي المالكي المعروف بابن اللجام. توفي سنة ٤٤٩هـ. ينظر: السير ١٨/ ٤٧، والعبر ٣/ ٢١٩، والشذرات ٣/ ٢٨٣.
(٦) نقله الحافظ في الفتح ١٣/ ٣٧٥ .
(٧) متفق عليه من حديث أبي هريرة، فأخرجه البخاري رقم ٧٤٠٥ و٧٥٠٥ و٧٥٣٧ ومسلم رقم ٢٦٨٧ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهذه الزيادة تكون على وجه المتفق عليه، بزيادة تقريبه للعبد إليه جزاءً على تقربه باختياره، فكلما تقرب العبد باختياره قدر شبر زاده الرب قرباً إليه حتى يكون المتقرب بذراع. فكذلك قرب الرب من قلب العابد، وهو ما يحصل في قلب العبد من معرفة الرب والإيمان به، وله المثل الأعلى، فهذا أيضاً لا نزاع فيه، وذلك أن العبد يصير محباً لما أحب الرب، مبغضاً لما أبغض، موالياً لمن يوالي، معادياً لمن يعادي، فيتحد مراده مع المراد المأمور به الذي يحبه الله ويرضاه[١].

٣-قوله ﷺ : ((**أقرب ما يكون الرب من عبده في جوف الليل الآخر**))[٢].

قال العلامة الشيخ زيد بن فياض: فهذا قرب خاص غير قرب الإحاطة[٣].

٤-أحاديث الدنو والهبوط والنزول لله ﷻ.

ففي صفة الدنو لله يقول ﷺ : ((**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة..**))[٤].

(١) شرح حديث النزول ص١٣٣-١٣٤ .

(٢) أخرجه الترمذي رقم ٣٥٧٩ عن عمرو بن عبسة وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في الكبرى ١٥٤٤ بإسناد صحيح، وابن أبي الدنيا في التهجد وقيام الليل ٢٤٤ وابن خزيمة في صحيحه ١١٤٧ والطبراني في الدعاء ١٢٨ وصححه الحاكم ١/ ٤٥٣ ووافقه الذهبي. والحديث صححه الألباني في صحيح الترمذي ٢٨٣٣ .

(٣) الروضة الندية ص٢٢١.

(٤) صحيح مسلم ١٣٤٨ عن عائشة، رضي الله عنها.

وفي صفة الهبوط يقول ﷺ : ((**إن الله يمهل حتى يذهب ثلث الليـل، ثـم يهبط**))[١].

وفي صفة النزول يقول ﷺ : ((**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر**))[٢].

وقد استدل ابن تيمية بأحاديث الدنو والهبـوط والنـزول عـلى إثبـات صفة القرب لله[٣].

٥-قوله ﷺ : ((**إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق قبل وجهه، فـإن الله قبل وجهه إذا صلى**))[٤].

قال العلامة ابن رجب[٥]: هذا الحديث يدل على قرب الله تعـالى مـن المـصلي في حـال صـلاته، وقـد تكـاثرت النـصوص بـذلك، ثـم سـاق بعضها[٦].

---

(١) مسند أحمد ٢/ ٣٨٣ عـن أبي هريـرة بإسـناد صـحيح عـلى شرط مـسلم ونحـوه في مـسلم ٧٥٨ (١٧٢).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، فأخرجه البخاري رقم ٧٤٩٤ ومسلم رقم ٧٥٨ .

(٣) نقض التأسيس ج٢، ق٧١ .

(٤) متفق عليه من حديث أنس وابن عمر. فأخرجه البخاري رقم ٤٠٥ و٤٠٦ ومسلم ٥٤٧ و٥٥١.

(٥) هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن بن محمد بن مسعود، الشيخ العلامة زيـن الـدين أبو الفرج الحنبلي، ولد سنة ٧٣٦هـ وتوفي سنة ٧٩٥هـ. ينظـر: الـدرر الكامنـة ٢/ ٣٢١، والبـدر الطالع ١/ ٣٢٨، والشذرات ٦/ ٣٣٩، ومعجم المؤلفين ٢/ ٧٤-٧٥.

(٦) فتح الباري، لابن رجب ٣/ ١٥٧ .

قال العلامة زيد بن فياض: وفي الحديث دليل على قرب الله ﷻ من المصلي(١).

٦-أحاديث قرب بعض المخلوقات لله ﷻ، مثل قوله ﷺ: ((**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**))(٢). وقوله ﷺ :((**يُؤتى بالمؤمن يوم القيامة، فيدنيه الله تعالى منه..**))(٣) قال أبو يعلى:(٤) فأما قوله: " يُدني عبده " فغير ممتنع حمله على ظاهره، وأنه دنو من ذاته، وقد نص أحمد على الأخذ بظاهره من غير تأويل، وإنما قال ذلك؛ لأنه ليس في حمله على ذلك ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه؛ لأنا لا نصفه بالانتقال من مكان إلى مكان، وعلى هذا يحمل قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ**.. ﴾(٥)، وأن المراد بالدنو دنوه من الذات(٦).

٧-ومما روي في قرب الله ﷻ: ((**نزل الله من ابن آدم أربع منازل، هو أقرب إليه من حبل الوريد، وهو يحول بين المرء وقلبه، وهو آخذ بناصية**

(١) الروضة الندية ص٢٠٦ .
(٢) ينظر: فتاوى ابن تيمية ٥/ ٢٣٦-٢٣٧، والحديث تقدم تخريجه.
(٣) متفق عليه من حديث ابن عمر، فأخرجه البخاري ٢٣٠٩ و٤٤٠٨ و٥٧٢٢ و٧٠٧٦ ومسلم ٢٧٦٨ .
(٤) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف، الإمام شيخ الحنابلة القاضي أبو يعلى، ولد سنة ٣٨٠هـ وتوفي سنة ٤٥٨هـ. ينظر: تاريخ بغداد ٢/ ٢٥٦، والسير ١٨/ ٨٩، والوافي بالوفيات ٣/ ٧، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٩٣، والشذرات ٣/ ٣٠٦ .
(٥) سورة النجم ٨.
(٦) إبطال التأويلات ١/ ٢٢٧ .

كل دابة، وهو معهم أينما كانوا)) [١] وما روي في قصة أيوب -عليه السلام- أنه أظله غمام، ثم نودي : ((**يا أيوب ؟ أنا الله، أنا قد دنوت منك، أنزل منك قريباً**)) [٢].

وأما قوله تعالى: ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ** ﴾ [٣]. فيستدل به بعض العلماء على إثبات القرب لله ﷻ، لكنهم يقولون: إنه قرب علم واطلاع وقدرة، قال شيخ المفسرين الطبري: معناه: أملك به وأقرب إليه في القدرة عليه، أو بالعلم بما توسوس به نفسه [٤]. وفسره الكلبي[٥] بالعلم والاطلاع[٦] وكذا ابن الجوزي[٧] رحمه الله[٨]،

---

(١) ذكره السيوطي في تفسيره ١٣/ ٦١٩ عن أبي سعيد مرفوعاً، وعزاه إلى ابن مردويه، ولم يتيسر لي الوقوف على إسناده.

(٢) ذكر الخبر الطبري في تفسيره ١٦/ ٣٤٧ والبغوي في تفسيره ٥/ ٣٤١ ونحوه في تاريخ الطبري ١/ ٣٢٢ وعرائس المجالس، للثعالبي ١٣٥ قال ابن تيمية: هو من الإسرائيليات من حديث وهب بن منبه، والإسرائيليات تذكر على وجه المتابعة لا على وجه الاعتماد عليها وحدها. شرح حديث النزول ص٩٧، ومجموع الفتاوى ٥/ ٤٦٤.

(٣) سورة ق١٦ .

(٤) تفسير الطبري ٢١/ ٤٢٢ .

(٥) هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الشيخ المفسر أبو القاسم الكلبي الغرناطي الشهير بابن جزي، ولد سنة ٦٩٣هـ، وتوفي سنة ٧٤١هـ. ينظر: مقدمة تفسيره ٦/ د-ح، ومعجم المؤلفين ٣/ ٦٢٥.

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (تفسير الكلبي) ٤/ ١١٥ .

(٧) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي، الشيخ العلامة جمال الدين أبو الفرج الشهير بابن الجوزي الحنبلي ولد سنة ٥١٠هـ وتوفي سنة ٥٩٧هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣١، والكامل، لابن الأثير ١١/ ٦٧، والشذرات ٤/ ٣٢٩ .

(٨) تفسير ابن الجوزي (زاد المسير) ٨/ ٩ .

والبغوي[١] رحمه الله، والماوردي[٢] رحمه الله [٣].

وروي تفسير القرب في الآية بالعلم عن الامام أحمد[٤]، وأبي يعلى[٥]، ومقاتل[٦]، والصرصري[٧]، رحمهم الله[٨].

وبعض المفسرين يفسرون القرب في الآية بالقدرة والسلطان [٩].

ونحوه قوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ [١٠] قال ابن عباس: ملك الموت أدنى إليه من أهله [١١]. وقال الطبري: رسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم [١٢].

(١) تفسير البغوي (معالم التنزيل) ٧/ ٣٥٨.

(٢) هو علي بن محمد بن حبيب البصري، الشيخ العلامة، أبو الحسن الماوردي. ولد سنة ٣٦٤هـ وتوفي سنة ٤٥٠هـ. ينظر: تاريخ بغداد ١٢/ ١٠٢، وطبقات السبكي ٣/ ٣٠٣، والكامل ٩/ ٢٢٩، والشذرات ٣/ ٢٨٥ .

(٣) في تفسيره (النكت والعيون) ٤/ ٨٥ .

(٤) ينظر: الأربعين للذهبي ٦٥، ومختصر العلو ١٩٠، وشرح ابن عيسى، للنونية ١/ ٤٤٩ .

(٥) إبطال التأويلات ١/ ٢٢٩.

(٦) الأربعين ٦٤، ومختصر العلو ١٣٩، واجتماع الجيوش الإسلامية ص١٣٠ .

(٧) هو يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر بن عبد السلام، الشيخ العلامة جمال الدين أبو زكريا الصرصري الشاعر المادح الحنبلي، صاحب الدواوين في مدح النبيﷺ . ولد سنة ٥٨٨هـ وقتل شهيداً في سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ بأيدي التتار. ينظر: البداية والنهاية ١٧/ ٣٧٧، والعبر ٥/ ٢٣٧، وفوات الوفيات ٤/ ٢٩٨، والذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ٢/ ٢٦٢ .

(٨) ينظر: اجتماع الجيوش الإسلامية ٣١٦ .

(٩) ينظر: تفسير الثعالبي ٤/ ١٩٦، وتفسير ابن عطية ١٣/ ٥٣٩-٥٤٠، وتفسير القرطبي١٩/ ٤١٦ تفسير الرازي ٢٨/ ١٦٢ .

(١٠) سورة الواقعة ٨٥.

(١١) تفسير ابن الجوزي ٨٧/ ١٥٥.

(١٢) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٧٣ .

وبعض المفسرين يفسرون القرب في هذه الآية إما بالعلم والاطلاع، أو بقرب الملائكة، فإن عنى الله القرب بنفسه فقوله: ﴿لَّا تُبۡصِرُونَ﴾ رؤية قلبية، وإن عنى الملائكة؛ فهي رؤية عينية [١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –في سياق كلامه على آية سورة {ق}– بعد بيانه أن مجموعة من أهل التفسير فسروا القرب في الآية بالعلم وبالقدرة ونحوها–: وهذه الأقوال ضعيفة، فإنه ليس في الكتاب والسنة وصفه بقرب عام من كل موجود، حتى يحتاجوا أن يقولوا بالعلم والقدرة والرؤية، ولكن بعض الناس لما ظنوا أنه يوصف بالقرب من كل شيء، تأولوا ذلك بأنه عالم بكل شيء، قادر على كل شيء. وكأنهم ظنوا أن لفظ القرب مثل لفظ المعية [٢].

وقال ابن القيم –في سياق كلامه على آية ق–: هذه الآية لها شأن، وقد اختلف فيها السلف والخلف على قولين، فقالت طائفة: نحن أقرب إليه بالعلم والقدرة والإحاطة، وعلى هذا فيكون المراد: قربه سبحانه بنفسه، وهو نفوذ قدرته ومشيئته فيه، وإحاطة علمه به. والقول الثاني: أن المراد قرب ملائكته منه، وأضاف ذلك إلى نفسه بصيغة ضمير الجمع على عادة العظماء في إضافة أفعال عبيدها إليها بأوامرهم ومراسيمهم، فيقول

(١) ينظر: التسهيل ٤/ ١٧١، وتفسير الثعالبي ٤/ ٢٥٨، وتفسير أبي السعود ٥/ ٢٦٨، وتفسير ابن عاشور ٢٧/ ٣٤٤، وتفسير ابن عطية ١٤/ ٢٧٤، وتفسير البغوي ٨/ ٢٥، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٢٢٩، وتفسير الواحدي ٢/ ١٠٦٤.

(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ٤٩٤، وشرح حديث النزول ١٢١ .

الملك: نحن قتلناهم وهزمناهم. قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴾ (١) وجبريل هو الذي يقرؤه على رسول الله ﷺ . وقال: ﴿ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ ﴾ (٢) فأضاف قتل المشركين يوم بدر إليه، وملائكته هم الذين باشروه، إذ هو بأمره، وهذا القول أصح من الأول لوجوه :

أحدهما: أنه سبحانه قيد القرب في الآية بالظرف، وهو قوله: ﴿ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ ﴾ فالعامل في الظرف ما في قوله: ﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ ﴾ من معنى الفعل، ولو كان المراد قربه سبحانه بنفسه لم يتقيد ذلك بوقت تلقي الملكين، ولا كان في ذكر التقييد به فائدة. فإن علمه سبحانه وقدرته ومشيئته عامة التعلق.

الثاني: أن الآية تكون قد تضمنت علمه وكتابة ملائكته لعمل العبد، وهذا نظير قوله: ﴿ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ﴾ (٣) وقريب منه قوله تعالى في أول السورة: ﴿ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ﴾ (٤) ونحو قوله: ﴿ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ (٥).

---

(١) سورة القيامة ١٨.
(٢) سورة الأنفال ١٧.
(٣) سورة الزخرف ٨٠.
(٤) سورة ق ٤ .
(٥) سورة طه ٥٢.

الثالث: أن قرب الرب تعالى إنما ورد خاصاً لا عاماً، وهو نوعان: قربه من داعيه بالإجابة، ومن مطيعه بالإثابة، ولم يجيء القرب كما جاءت المعية خاصة وعامة، فليس في القرآن ولا في السنة أن الله قريب من كل أحد، وأنه قريب من الكافر والفاجر، وإنما جاء خاصاً كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [(١)].

٤- ومن الأوجه التي تضعف تفسير القرب في الآية بالعلم أنه لا يجوز أن يراد به مجرد العلم، فإن من كان بالشيء أعلم من غيره، لا يقال: إنه أقرب إليه من غيره لمجرد علمه به، ولا لمجرد قدرته عليه. ثم إنه -سبحانه وتعالى- عالم بما يسر من القول وما يجهر به، وعالم بأعماله، فلا معنى لتخصيص حبل الوريد بمعنى أنه أقرب إلى العبد منه، فإن حبل الوريد قريب إلى القلب، ليس قريباً إلى قوله الظاهر، وهو يعلم ظاهر الإنسان وباطنه. قال تعالى: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [(٢)] وقال: ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [(٣)،(٤)].

---

(١) سورة البقرة ١٨٦. ينظر: مختصر الصواعق ٤٥٨، وينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٥/ ٢٣٦ و٥٠٥ وشرح حديث النزول ١٣١، والمدارج ٢/ ٢٩٠، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٢٤٥ وأقاويل الثقات، لمرعي الكرمي ١٠١.

(٢) سورة الملك ١٣-١٤.

(٣) سورة طه ٧.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ٥٠٤، وشرح حديث النزول ١٢٨-١٢٩.

٥- ومما يدل على أن القرب ليس المراد به العلم أنه قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ (١)، فأخبر أنه يعلم ما توسوس به نفسه، ثم قال: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ فأثبت العلم، وأثبت القرب، وجعلها شيئين، فلا يجعل أحدهما هو الآخر (٢).

وإذا تقرر أن القرب في الآية لا يصح أن يراد به العلم، فينبغي أن نوضح أنه لا يجوز أن يراد به قرب الرب الخاص، كما في قوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ فإن ذاك إنما هو قربه إلى من دعاه أو عبده، وهذا المحتضر قد يكون كافراً أو فاجراً أو مؤمناً أو مقرباً، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ (٣). ومعلوم أن مثل هذا المكذب لا يخصه الرب بقربه منه دون من حوله، وقد يكون حوله قوم مؤمنون، وإنما هم الملائكة الذين يحضرون عند المؤمن والكافر، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ (٤)، وقال: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ (٥)، وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ

(١) سورة ق ١٦-١٧.
(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ٥٠٤، شرح النزول ١٢٩ .
(٣) سورة الواقعة ٨٨-٩٤.
(٤) سورة النساء ٩٧.
(٥) سورة الأنفال ٥٠.

وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[1] وقال: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾[2][3].

(١) سورة الأنعام ٦١.
(٢) سورة السجدة ١١.
(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/ ٥٠٦، شرح النزول ١٣٠ .

المبحث الثاني : كلام السلف في إثبات هذه الصفة .

أولاً: ما روي عن الصحابة، رضي الله عنهم :

١- قال عمر بن الخطاب ﷺ : إن ربكم أقرب إلى أحدكم من حبل الوريد [١].

٢- وقال علي بن أبي طالب ﷺ : الحمد لله الذي دنا في علوه [٢].

٣- وقال ابن عباس، رضي الله عنهما: دنا الله ﷻ [٣] .

٤- وقال معاوية بن أبي سفيان ﷺ : الحمد لله الذي دنا في علوه وعلا في دنوه [٤].

ثانياً: ما روي عن التابعين وأئمة السلف :

١- قال عمر بن عبد العزيز[٥]، رحمه الله: إن الله أقرب إلى عباده من حبل الوريد. وكان مجاهد [٦] حاضراً يسمع، فأعجبه حسن كلام عمر [٧].

---

(١) فتح الباري، لابن رجب ٣/ ١٦٠ وقال: وخرجه أبو نعيم، وعنده أن القائل ابن عمر.
(٢) الرد على الجهمية، للدارمي ص٢٧٧، ضمن عقائد السلف بجمع النشار.
(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ١٤، ومعجم الطبراني الكبير ١١٣٢٨، وتفسير السيوطي ٦/ ١٢٣، ومختصر العلو ١٢٠، قال الحافظ في الفتح: ١٣/ ٤٨٤: إسناده إلى ابن عباس حسن.
(٤) ينظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لابن حبان ص٥٤٠.
(٥) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، الخليفة الزاهد الراشد، ولد سنة ٦١هـ، ولي الخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩ وتوفي سنة ١٠١هـ. ينظر: السير ٥/ ١١٤، والحلية ٥/ ٢٥٣، وتاريخ الطبري ٦/ ٥٦٥، والشذرات ١/ ١١٩.
(٦) هو مجاهد بن جبر، الإمام شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي، روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب. توفي سنة ١٠٢هـ وقيل ١٠٣ وقيل ١٠٤هـ. ينظر: السير ٤/ ٤٤٩، والحلية ٣/ ٢٧٩، والعبر ١/ ١٢٥، والشذرات ١/ ١٢٥ .
(٧) فتح الباري، لابن رجب ٣/ ١٦٠ .

٢- قال الحسن البصري، رحمه الله: ليس شيء عند ربك من الخلق أقرب إليه من إسرافيل..[١] ونُقل عن الحسن في رواية عنه أن الذي دنا في آية النجم هو الله ﷻ[٢].

٣و٤- عطاء[٣] وعكرمة[٤]: قالا: إن الذي دنا في الآية هو الله ﷻ[٥].

٥- الإمام مالك[٦] -رحمه الله- قال -في عقيدته-: خلق الإنسان، ويعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد[٧].

٦- الإمام الشافعي[١] -رحمه الله- قال: القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم...

---

(١) إثبات العلو، لابن قدامة ١١١-١١٢، واجتماع الجيوش الإسلامية ص١٣٢، والعلو للذهبي ٩٣ وقال: إسناده حسن.

(٢) إبطال التأويلات ١/ ١٢٤.

(٣) هو عطاء بن أبي رباح، الإمام مفتي الحرم أبو محمد، ولد في أثناء خلافة عثمان، وتوفي سنة ١١٤هـ وقيل ١١٥هـ. ينظر: السير ٥/ ٧٨، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٦١، والعبر ١/ ١٤١، والشذرات ١/ ١٤٧.

(٤) هو عكرمة مولى ابن عباس، أبو عبد الله القرشي الحافظ المفسر، من أعلم الناس بالتفسير، توفي سنة ١٠٥هـ. ينظر: السير ٥/ ١٢، والحلية ٣/ ٣٢٦، والعبر ١/ ١٣١، والشذرات ١/ ١٣٠.

(٥) إبطال التأويلات ١/ ١٢٤.

(٦) هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر، إمام دار الهجرة، أبو عبد الله الأصبحي، ولد سنة ٩٣هـ وتوفي سنة ١٧٩هـ. ينظر: السير ٨/ ٤٣، والحلية ٦/ ٣١٦، ووفيات الأعيان ٤/ ١٣٥، والشذرات ٢/ ١٢.

(٧) ينظر: شرح عقيدة أهل السنة على مذهب مالك. د. محمد الخميس ص٢٠-٢١.

الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً ﷺ رسوله، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه ، يقرب من خلقه كيف يشاء [٢].

٧- الإمام ابن سريج[٣] قال -في بيان عقيدته-: يجب على المرء المسلم الموقن الإيمان بكل ما نطق به القرآن في الصفات، كالفوقية و.. والقرب والبعد [٤].

٨- الأشعري -رحمه الله- قال: ونقول: إن الله ﷻ يقرب من عباده كيف يشاء، كما قال: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾، وكما قال: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [٥].

٩- الإمام حماد بن زيد[١]، قال: الله يقرب من خلقه كيف يشاء [٢]. وبلفظ: يدنو من خلقه كيف يشاء [٣].

---

(١) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان، الإمام الشافعي، أبو عبد الله القرشي. ولد سنة ١٥٠هـ. وتوفي سنة ٢٠٤هـ. ينظر: السير ١٠/ ٥، والحلية ٩/ ٦٣، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٦١، والشذرات ٢/ ٩.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٦٥، وإثبات صفة العلو ١٢٤، ومختصر العلو ١٧٦، ومجموع الفتاوى ٤/ ١٨٢-١٨٣، وشرح ابن عيسى، للنونية ١/ ٤٤٧.

(٣) هو أحمد بن محمد بن سريج الإمام أبو العباس الشافعي. ولد سنة بضع وأربعين ومائتين وتوفي سنة ٣٠٦هـ. ينظر: السير ١٤/ ٢٠١، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨١١، والوافي بالوفيات ٧/ ٢٦٠، وطبقات السبكي ٣/ ٢١، والشذرات ٢/ ٢٤٧.

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٧١ بتصرف، والعلو ١٥٢-١٥٣، والفواكه العذاب في معتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لابن معمر ص١٧٠.

(٥) سورة النجم ٨-٩. ينظر: الإبانة ص١١. وينظر: مختصر العلو ٢٤٢، اجتماع الجيوش الإسلامية ٢٩٣، نقض التأسيس لابن تيمية ٢/ ق ١٨٤ .

١٠- الإمام إسحاق بن راهويه قال: -عندما سئل عن قوله ﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾(٤): حيث ما كنت فهو أقرب إليك من حبل الوريد، وهو بائن من خلقه(٥).

١١- العلامة زكريا الساجي(٦) قال: القول في السنة التي رأيت عليها أصحابنا أهل الحديث الذين لقيناهم أن الله تعالى على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء(٧).

١٢- الإمام شقيق بن سلمة(٨). فقد سُئل عن قرب الله من خلقه، فقال: نعم، يقول تعالى: " ابن آدم ادن مني شبراً أدنُ منك ذراعاً، ادنُ مني ذراعاً أدنُ منك باعاً.. "(٩).

---

(١) هو حماد بن زيد بن درهم، العلامة المحدث، أبو إسماعيل أحد الأعلام، توفي سنة ١٧٩هـ. ينظر: السير ٧/ ٤٥٦، والحلية ٦٠/ ٢٥٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٢٨، والشذرات ١/ ٢٩٢.

(٢) نقض التأسيس ٢/ ق١٨٥، ولوائح الأنوار السنية، للسفاريني ١/ ٣٢٤، واللوامع ١/ ٤٣.

(٣) شرح لامية ابن تيمية، للمرداوي ص٦٢.

(٤) سورة المجادلة ٧.

(٥) ينظر: اجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٢٦، وإثبات الحد، للدشتي ق١٠/ ب، ومختصر العلو ١٩١.

(٦) هو زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن عدي الضبي، أبو يحيى البصري الساجي، ولد سنة ٢٢٠هـ وتوفي سنة ٣٠٧هـ. ينظر: السير ١٤/ ١٩٧، والعبر ٢/ ١٣٤، وطبقات السبكي ٣/ ٢٩٩، والبداية والنهاية ١٤/ ٨١٣.

(٧) ينظر: اجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٤٥-٢٤٦، ومختصر العلو ٢٢٣.

(٨) هو شقيق بن سلمة، شيخ الكوفة، أبو وائل الأسدي، من المخضرمين أدرك النبي ﷺ ولم يره. توفي سنة ٨٢هـ. ينظر: السير ٤/ ١٦١، والحلية ٤/ ١٠١، وتاريخ بغداد ٩/ ٢٦٨، وتذكرة الحفاظ ١/ ٥٦.

(٩) الحديث عن أبي هريرة، تقدم تخريجه، وقول شقيق في السير ٤/ ١٦٤، والحلية ٤/ ١٠١.

١٣- الحسن بن حامد[١] قال: يجب الإيمان بما ورد من قرب الحق [٢].

١٤- النووي[٣] قال: إن الله يقرب من عباده كيف يشاء، لقوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾، وقوله: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ وأشباه ذلك من آيات الصفات، ولا نتأولها ولا نكشف عنها، بل نكف عن ذلك كما كف عنه السلف الصالح [٤].

١٥- ابن رجب الحنبلي قال: ليس قرب الله كقرب الخلق المعهود منهم، إنما هو قرب ليس يشبهه قرب المخلوقين، كما أن الموصوف به ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير [٥].

---

(١) هو الحسن بن حامد بن علي بن مروان، شيخ الحنابلة ومفتيهم، أبو عبد الله الوراق البغدادي، مصنف كتاب الجامع في عشرين مجلداً في الاختلاف. توفي شهيداً سنة ٤٠٣هـ. ينظر: السير ١٧/ ٢٠٣، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٧١، وتاريخ بغداد ٧/ ٣٠٣، والشذرات ٣/ ١٦٦.

(٢) ينظر: دفع شبه التشبيه، لابن الجوزي ٢٤٥.

(٣) هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن، الشيخ العلامة محيي الدين، أبو زكريا النووي الشافعي. ولد سنة ٦٣١هـ وتوفي سنة ٦٧٦هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/ ٢٥٠، وطبقات السبكي ٥/ ١٦٧، والشذرات ٥/ ٣٥٤، ومعجم المؤلفين ٤/ ٩٨.

(٤) جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات ص٦٨. والملاحظ هنا أن النووي -رحمه الله- أوّل صفة القرب بالمكانة والمنزلة من الله، وقال: إنها مجاز عن الثواب. كما في شرحه لمسلم ٩/ ٢٧-٢٨، بينما في هذا الكتاب يقرر مذهب السلف في القرب، إضافة إلى أن النووي قرر في هذا الكتاب مذهب أهل السنة في صفة الكلام، ورد على الأشاعرة وبيّن تناقضهم، وأن كلامهم بارد ركيك، ص٣٩. وقد ألف النووي هذا الكتاب في ٣ ربيع الآخر سنة ٦٧٦هـ أي قبل وفاته بشهرين، مما يظهر لنا أنه عاد عن مذهب الأشاعرة إلى مذهب أهل السنة والجماعة بحمد الله وتوفيقه.

(٥) فتح الباري ٣/ ١٦٠.

١٦- شيخ الإسلام ابن تيمية قال: وقد دخل في ذلك الإيمان بأنه قريب مجيب، كما جمع بين ذلك في قوله: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ وقوله ﷺ : ((**إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**)). وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكره من علوه وفوقيته، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في نعوته، وهو علي في دنوه قريب في علوه [1].

١٧- الإمام ابن القيم. له تقريرات كثيرة في إثبات قرب الله وأنواعه[2].

---

(١) العقيدة الواسطية بشرح الفياض ص٢٧٤، وبشرح الهراس ٢٦٩. وينظر: مجموع الفتاوى ٣/ ١٤٠.

(٢) ينظر: المدارج ٢/ ٢٦٥ و٢٩٠، ومختصر الصواعق ٤٥٨.

وينبغي هنا أن أشير إلى جملة وردت في مختصر الصواعق لابن الموصلي، وهي: فهو -أي الله ﷻ- قريب من المحسنين بذاته ورحمته قرباً ليس له نظير، وهو مع ذلك فوق سمواته على عرشه، ص٤٦٠. والإشكال عندي في لفظة (بذاته) حيث أشك في كون هذه الكلمة من كلام ابن القيم، بل يظهر أنها من تصرف الشيخ محمد الموصلي؛ لأنها تعارض كلام ابن القيم في كتابه الآخر التفسير قال: الرب -تبارك وتعالى- قريب من المحسنين، ورحمته قريبة منهم، وقربه يستلزم قرب رحمته، ففي حذف التاء ههنا تنبيه على هذه الفائدة العظيمة الجليلة، وأن الله تعالى قريب من المحسنين، وذلك يستلزم القربين: قربه، وقرب رحمته. ولو قال: إن رحمة الله قريبة من المحسنين لم يدل على قربه تعالى منهم؛ لأن قربه -تعالى- أخص من قرب رحمته... نقله الشيخ على الحواس في كتاب النقول الواضحة الجلية عن السلف الصالح في معنى المعية الإلهية الحقيقية ص٦٥ ثم قال: فهذا كلام ابن القيم -رحمه الله- في تفسيره للآية الكريمة، وهي قوله -تعالى-: { إنَّ رحمةَ الله قريب منَ المحسنين } واضح جلي لا يحتمل التأويل في أنه لم يقل: قريب من المحسنين بذاته. وإنما قال: قريب من المحسنين، ورحمته قريبة منهم، ولم يتطرق إلى لفظ الذات ألبته، ص٦٦. ثم قال: لو كان ثابتاً ما عُزي لابن القيم لما غفل عنه، وترك ذكره في جميع مؤلفاته، ولذكر ذلك ولو في بعضها عدا مختصر الصواعق لابن الموصلي. ولو فرض أن ما عُزي إلى ابن القيم قول ثابت، فإن ابن القيم

١٨- صديق حسن خان [١] قال: ومما نطق بها القرآن، وصح بها النقل من الصفات... وأن الله يقرب من خلقه كيف يشاء [٢].

-رحمه الله تعالى- مجتهد، وهو من أهل الاجتهاد؛ لأن شروط المجتهد متوفرة فيه -رحمه الله- والمجتهد إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، وخطؤه مغفور، لكن المجتهد إذا أخطأ فإنه لا يتابع على خطئه. والدليل على أنه مجتهد فيما عُزي إليه -إن ثبت ذلك عنه- أنه قال في مختصر الصواعق لمحمد بن الموصلي: والذي عندي أن الرحمة لما كانت من صفات الله تعالى، وصفاته قائمة بذاته، فإذا كانت قريبة من المحسنين؛ فهو قريب سبحانه منهم قطعاً. إلى أن قال: فهو قريب من المحسنين بذاته ورحمته قرباً ليس له نظير... فقوله: والذي عندي. دليل واضح على أن هذا القول اجتهاد منه -رحمة الله- لم يستند فيه إلى قول أحد ممن سبقه من الأئمة الأعلام لا من قبله ولا في زمنه حتى ولا من شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية، -رحمه الله تعالى- ص٧٠-٧١.

وقد استدل العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله- بهذه العبارة التي وردت في مختصر الصواعق على أن المعية لله حقيقية ذاتية تليق به وذلك في مقال كتبه بتاريخ ٢٤/ ٦/ ١٤٠٣هـ وتعقبه الشيخ علي بن عبد الله الحواس في كتابه: النقول الصحيحة الواضحة الجلية عن السلف الصالح في معنى المعية الإلهية. وتعقبه كذلك الشيخ حمود بن عبد الله التويجري بكتاب: إثبات علو الله ومباينته لخلقه، والرد على من زعم أن معية الله للخلق ذاتية. ثم كتب العلامة ابن عثيمين تنبيهاً يقتضي موافقته للسلف في هذا الأمر. ينظر: القواعد المثلى، لابن عثيمين ص٦٣-٦٤. وقد قرأ العلامة ابن عثيمين كتاب حمود التويجري، وقال: كل ما قرره فهو حق. فيتضح بذلك أن العلامة ابن عثيمين على مذهب السلف الصالح في ذلك، والله أعلم.

(١) هو محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيب الهندي. عالم مشارك في أنواع من العلوم، ولد سنة ١٢٤٨هـ وتوفي سنة ١٣٠٧هـ. ينظر هدية العارفين ٢/ ٣٨٨، والأعلام ٧/ ٣٦، ومعجم المؤلفين ٣/ ٣٥٨.

(٢) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ص٦٥.

الفصل الثالث :

علاقة صفة القرب ببعض الصفات وآثار الإيمان بهذه الصفة

المبحث الأول: علاقة صفة القرب ببعض الصفات .

صفة القرب لله من الصفات الاختيارية الفعلية المتعلقة بمشيئة الله وقدرته، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، وهذه الصفة لها تعلق ببعض الصفات الأخرى لله كعلو الله، واستوائه على العرش، ومعيته، ونزوله، ونحو ذلك.

المطلب الأول: علاقة القرب بالعلو والاستواء على العرش.

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الله فوق سمواته مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، كما دلَّ على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وكما علم العلو والمباينة بالمعقول الصريح الموافق للمنقول الصحيح، وكما فطر الله على ذلك خلقه من إقرارهم به، وقصدهم إياه، سبحانه وتعالى(١).

وأهل السنة يثبتون لله العلو المطلق من جميع الوجوه :

١- علو الذات، وهو كونه فوق جميع المخلوقات، مستوياً على عرشه.

٢- علو القدر؛ إذ له كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أعلاها.

٣- علو القهر، فهو القاهر فوق عباده.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢/ ٢٩٧.

والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة الدالة على علو الله على خلقه، وكونه فوق عباده تقرب من عشرين نوعاً[١].

وقد جاء إثبات صفة العلو لله تعالى في كتابه على وجوه عديدة، وأفراد هذه الأدلة كثيرة جداً، حتى قال بعض أصحاب الإمام الشافعي: إن في القرآن ألف دليل أو أزيد تدل على أن الله عالٍ على الخلق، وأنه فوق عباده[٢].

والعلو صفة ذاتية لله ﷻ ، لا تنفك عن ذاته، بل هي لازمة له أزلاً وأبداً، والقرب -كما تقدم- صفة فعلية أو اختيارية، متعلقة بمشيئة الله وقدرته، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها.

ويقرر أهل السنة أن الله -سبحانه وتعالى- يقرب، ويدنو من عباده " مع كونه فوق عرشه، قال ﷺ : ((**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**)) فهذا قرب الساجد من ربه، وهو فوق عرشه .

وكذلك قوله في الحديث الصحيح: ((**إن الذي تدعونه سميع قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**)) فهذا قربه من داعيه، والأول قربه من عابديه، ولم يناقض ذلك كونه فوق سمواته على عرشه.

---

(١) شرح الطحاوية ص٣٨٠.
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ١٢١ ولمزيد تفصيل في ذكر الأدلة على علو الله على خلقه ينظر: شرح الطحاوية ص٣٨١ وما بعدها، ومختصر الصواعق ٢/ ٢٠٥-٢١٧، والتوحيد، لابن خزيمة ١/ ٢٣١، والكتب المفردة في الموضوع، مثل: العلو للعلي الغفار، للذهبي. وإثبات علو الله، لابن قدامة. واجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم. وعلو الله على خلقه، للدكتور موسى الدرويش.

وإن عسر على فهمك اجتماع الأمرين، فإنه يوضح ذلك معرفة إحاطة الرب وسعته، وأنه أكبر من كل شيء، وأن السموات السبع والأرضين في يده كخردلة في كف العبد، وأنه يقبض سمواته السبع بيده والأرضين باليد الأخرى، ثم يهزهن، فمن هذا شأنه كيف يعسر عليه الدنو ممن يريد الدنو منه، وهو على عرشه؟ وهو يوجب لك فهم اسمه الظاهر والباطن، وتعلم أن التفسير الذي فسر رسول الله ﷺ به هذين الاسمين هو تفسير الحق المطابق لكونه بكل شيء محيط، وكونه فوق كل شيء "(١).

ويؤكد أهل السنة على أن الله يقرب من بعض عباده قرباً يليق به، ولا يلزم منه الملاصقة والمخالطة، فهو ﷻ يقرب إلى بعض عباده، وهو فوق عرشه؛ إذ لا يكون الرب إلا فوق العرش، ففوقيته وعلوه من لوازم ذاته، ولا تناقض بين نزوله ودنوه وهبوطه ومجيئه وإتيانه وعلوه، لإحاطته، وسعته، وعظمته، وأن السموات والأرض في قبضته، وأنه مع كونه الظاهر الذي ليس فوقه شيء، فهو الباطن الذي ليس دونه شيء، فظهوره بالمعنى الذي فسره به أعلم الخلق لا يناقض بطونه بالمعنى الذي فسره به أيضاً(٢).

---

(١) من كلام ابن القيم في "مختصر الصواعق" ٢/ ٤٢٨ .

(٢) مختصر الصواعق ٢/ ٤٢٨.

يتلخص من ذلك أن " كل ما في الكتاب والسنة من الأدلـة عـلى قربـه ومعيته، لاينافي ما ذكر من علوه وفوقيته، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في نعوته، وهو عليّ في دنوّه، قريب في علوّه "[١].

كما يقرر الأئمة أن من يثبت علو الله ﷻ على خلقه، فهو يقول بقرب العباد إليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكل من استدل على أنه -تعالى- فوق العرش بالنصوص المتضمنة لذكر العلو إليه، مثل قوله -تعالى-: ﴿ **إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ** ﴾[٢] وقوله: ﴿ **إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ** ﴾[٣] وقوله: ﴿ **تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ** ﴾[٤] وغير ذلك فإنه يقول: إنه يتقرب إليه، وكذلك أثبت أن يكون عبده يلقاه، أو يكون بينه وبين خلقه حجاب ونحو ذلك، فإنه يقول: إنه يتقرب إليه. وفي القرآن مما فيه وصف ذهاب بعض الأشياء إلى نفسه، أو صعودها إليه، أو نزولها من عنده، وما يشبه ذلك نحو خمسمائة آية أو أكثر، وكل ذلك يدل على جواز التقرب إليه... ومن نفى أحدهما نفى الآخر، ومن أثبت أحدهما أثبت الآخر[٥] ، فإنه إذا

---

(١) من "قطف الثمر" لصديق حسن خان ص٥١ وينظر: شرح الواسطية، لهراس ٢٣٠، وشرح الفياض، للواسطية ٢٧٤، والفواكه العذاب في معتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص٦٣، ومجموع فتاوى ومقالات متنوعة، للشيخ ابن باز ٢/ ٩٠ .

(٢) سورة فاطر ١٠ .

(٣) سورة آل عمران ٥٥.

(٤) سورة المعارج ٤.

(٥) نقض التأسيس ج٢ ق١٧٤-١٧٥ .

كان فوق العرش أمكن القرب إليه، وكان علوه دليلاً على إمكان القرب منه [١]، كما بيّن -رحمه الله- أن الصعود إلى الله ﷻ نوع من القرب[٢].

كما يثبت أهل السنة صفة الاستواء لله على عرشه، كما أثبته الله لنفسه في كتابه فقال: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [٣]، وقال: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ [٤] وقال ﷺ : ((**يا أبا هريرة إن الله خلق السموات والأرضين وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش**)) [٥] وقال ﷺ : ((**إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي**)) [٦].

" وأجمع السلف على إثبات استواء الله على عرشه، فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل" [٧]. ولم يخالف فيه إلا من هو متهم على الإسلام، أو مغرور بالتقليد لمن يحسن به الظن [٨].

---

(١) نقض التأسيس ج٢ ق١٨١.

(٢) المصدر السابق ج٢ ق١٨١.

(٣) سورة طه ٥.

(٤) سورة الأعراف ٥٤ ، يونس ٣ ، الرعد ٢ ، الفرقان ٥٩ ، السجدة ٤ ، الحديد ٤ .

(٥) أخرجه النسائي في التفسير ٤١٢ وحسن إسناده العلامة الألباني في مختصر العلو ص١١١-١١٢ رقم ٧١.

(٦) صحيح البخاري عن أبي هريرة رقم ٧٤٢٢.

(٧) من كلام العلامة محمد بن عثيمين في كتابه "شرح لمعة الاعتقاد: لابن قدامة ص٣٦ . وينظر: في أقوال السلف: مختصر العلو، واجتماع الجيوش الإسلامية، وشرح أصول الاعتقاد، للالكائي ٢/ ٢١٦ و٣/ ٣٨٧، والفواكه العذاب ص٥٥، ودقائق التفسير، لابن تيمية ٥/ ٢٣٧ و٦/ ٤٣٦ .

(٨) ينظر: شرح كتاب التوحيد من البخاري، للشيخ عبد الله الغنيمان ١/ ٤٠٧ .

ولصفة الاستواء مناسبة مع صفة العلو، وذلك أن الاستواء علو خاص بالعرش، وأما العلو فهو علو الله العام على جميع المخلوقات [١]، ولهذا تجد أن الذين ينفون علو الله العام على جميع خلقه ينفون كذلك علوه الخاص على العرش، لكن العلو من الصفات المعلومة بالسمع مع العقل عند أئمة المثبتة، وأما الاستواء على العرش فمن الصفات المعلومة بالسمع لا بالعقل [٢].

ومعنى الاستواء: العلو والارتفاع والاستقرار والصعود، قال ابن القيم:

فلهم عبارات عليها أربع ... قد حصلت للفارس الطعان

وهي استقر وقد علا وكذا ... ارتفع الذي ما فيه من نكران

وكذاك قد صعد الذي هو رابع ... . [٣].

وتقدم أنه ليس في إثبات علو الله وفوقيته ما يناقض قربه من عباده، فقد أخبر النبي ﷺ أن الله هو الظاهر فليس فوقه شيء، وأخبر أن الذي يدعونه أقرب إلى أحدهم من عنق راحلته، فأخبر ﷺ وهو أعلم الخلق به، أنه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته، وأخبر أنه فوق سمواته، على

(١) ينظر: شرح كتاب التوحيد من البخاري للعلامة ابن عثيمين ص١٠٣، ١١٦.
(٢) ينظر: فتاوى ابن تيمية ٥/ ٢٢٧، منهج ابن حجر في العقيدة لمحمد كندو ٢/ ٧٥٢.
(٣) نونية ابن القيم ١/ ٢١٥ (بشرح الهراس).

عرشه، مطلع على خلقه، يرى أعمالهم، ويعلم ما في بطونهم، وهذا حق لا يناقض أحدهما الآخر.

والذي يسهل عليك فهم هذا معرفة عظمة الرب وإحاطته بخلقه، وأن السموات السبع في يده كخردلة في يد العبد، وأنه سبحانه يقبض السموات بيده والأرض بيده الأخرى، ثم يهزهن، فكيف يستحيل في حق من هذا بعض عظمته أن يكون فوق عرشه، ويقرب من خلقه كيف يشاء وهو على العرش ؟.[1]

وقد ورد سؤال للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن كون الله على عرشه، وما ورد من قربه ؟ فجاء الجواب: يجب اعتقاد أن الله تعالى فوق عرشه؛ لقوله تعالى: ﴿ **ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ** ﴾ وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ** ﴾[2] وذلك بعلمه وبملائكته، وهو سبحانه فوق عرشه، منزّه عن مخالطة خلقه[3].

المطلب الثاني: علاقة القرب بالمعية .

صفة المعية ثابتة لله بالكتاب والسنة والإجماع، فمن الكتاب قوله –تعالى-: ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ** ﴾[4]، وقوله : ﴿ **أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي**

(١) مختصر الصواعق ٢/ ٤٦٠ وينظر: الروضة الندية ٢١٦.
(٢) سورة ق ١٦-١٧.
(٣) فتاوى اللجنة الدائمة، جمع أحمد الدويش ٣/ ٢٠٢-٢٠٣ رقم ٧٤٠٥.
(٤) سورة الحديد ٤.

ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾(١).

ومن السنة قوله –تعالى– في الحديث القدسي: ((**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني**))(٢). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأجمع سلف الأمة على أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه، عليّ على خلقه، وهو معهم أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون(٣).

ويعتقد أهل السنة أن الله معنا حقيقة، وأنه فوق سمواته حقيقة، مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، وهذه المعية لا تقتضي الممازجة ولا المخالطة، فإن الله تعالى بائن من مخلوقاته، وهم منه بائنون(٤)، وعلوه ﷻ لا يناقض معيته، ومعيته لا تبطل علوه، بل كلاهما حق، ولذلك جمع بينهما في آية واحدة، فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٥).

والمعية عند السلف معيتان: معية عامة تقتضي العلم والإحاطة، ومعيـة خاصة تقتضي النصر والتأييد.

---

(١) سورة المجادلة ٧.
(٢) صحيح البخاري ٧٤٠٥ ومسلم ٢٦٧٥ عن أبي هريرة.
(٣) الواسطية بشرح الفياض ص٢٧٣، القواعد المثلى لابن عثيمين ص٩٥.
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/ ١٤٢ و٥/ ١٠٣ .
(٥) سورة الحديد ٤.

فالأولى كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.

والثانية كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾(١).

فالله تعالى مع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان، ويخص بعضهم –وهو أنبياؤه وأولياؤه– بالإعانة والنصر والتأييد(٢).

والفرق بين المعيتين أن المعية العامة من مقتضاها العلم والإحاطة والاطلاع على جميع الخلق، وأما الخاصة، فمن مقتضاها النصرة، والتأييد، والحفظ، والعناية، والتوفيق، والتسديد.

والمعية العامة من الصفات الذاتية، وأما الخاصة فمن الصفات الفعلية.

والمعية العامة تأتي في سياق التخويف والمحاسبة على الأعمال والحث على المراقبة، والخاصة تأتي مرتبة على الاتصاف بالأوصاف الجميلة والأخلاق الحميدة(٣).

أما الفرق بين المعية والقرب فيوضح ذلك الآتي:

القرب ورد خاصاً لا عاماً، وهو: قرب من الداعي بالإجابة، ومن المطيع بالإثابة، وقرب خاص يليق بالله لبعض العباد، ولم يجئ القرب كما

(١) سورة النحل ١٢٨.

(٢) ينظر: فتاوى ابن تيمية ٥/ ٢٢٧ و٤٩٧، ومختصر العلو ١٣٣، ومختصر الصواعق ٢/ ٤٥٣-٤٥٧، وشرح الواسطية، للهراس ١٧٩-١٨٠.

(٣) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية للشيخ عبد العزيز السلمان ص٣٦٢.

جاءت المعية خاصة وعامة، فليس في القرآن ولا في السنة أنه قريب من كل أحد، وأنه قريب من الكافر، وإنما جاء خاصاً، كقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ**﴾ (١).

ومن العلماء من يجعل القرب كالمعية، مثل العلامة ابن رجب (٢)، والأظهر أن صفة المعية أعم، وصفة القرب أخص، وقد جعلها ابن القيم أحد أنواع المعية، فقال: المعية نوعان: عامة، وهي معية علم وإحاطة، وخاصة وهي معية القرب (٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وجميع ما وصف به الرب ﷻ نفسه من القرب؛ فليس فيه ما هو عام لجميع المخلوقات كما في المعية، فإن المعية وصف نفسه فيها بعموم وخصوص. وأما قربه ما يقرب منه؛ فهو خاص لمن يقرب منه، كالداعي والعابد، وكقربه عشية عرفة، ودنوه إلى السماء الدنيا لأجل الحجاج (٤).

وبيّن -رحمه الله- أن بعض الناس لما ظنوا أن الله يوصف بالقرب من كل شيء تأولوا ذلك بأنه عالم بكل شيء، قادر على كل شيء، وكأنهم ظنوا أن لفظ القرب مثل لفظ المعية (٥). فليس لفظ القرب في الكتاب والسنة

---

(١) سورة البقرة ١٨٦. وينظر: الروضة الندية ص٢١٦.
(٢) فتح الباري ٣/ ١٦٠.
(٣) مدارج السالكين ٢/ ٢٦٥.
(٤) شرح حديث النزول ص١٠٩.
(٥) المصدر السابق ص١٢١، ومجموع الفتاوى ٥/ ٤٩٤ .

على جهة العموم كلفظ المعية، ولا لفظ التقريب في اللغة والقـراءة كلفـظ المعية [١].

ومما يؤكد التفريق بين القرب والمعية قوله ﷺ في الصحيح: " أيها الناس اربعوا على أنفسكم... إنكم تـدعون سـميعاً قريبـاً، وهـو معكـم " قـال القرطبي[٢]: فهذه معية وقرب [٣]. وقال النووي: فالله سميع قريب، وهـو معكم بالعلم والإحاطة [٤].

فأثبت النبي ﷺ في الحديث صفة القرب، ثم أثبت صفة المعية، ممـا يـدل على أن هناك فرقاً بينهما، ولو كان القرب بمعنـى المعيـة، لكـان قولـه ﷺ : ((**وهو معكم**)) تكراراً لا داعي له، والعياذ بالله. والله أعلم.

المطلب الثالث : علاقة القرب بالنزول .

يعتقد أهل السنة أن الله ينزل إلى السماء الـدنيا كـل ليلـة، وهـي صـفة فعلية خبرية ثابتة لله ﷻ بالسنة الصحيحة، قال ﷺ : ((**ينزل ربنا إلى السماء الـدنيا كـل ليلـة حـين يبقـى ثلـث الليـل الآخـر..**)) [٥] وقـال:

(١) شرح حديث النزول ١٢٥، ومجموع الفتاوى ٥/ ٤٧٨ و٤٩٩ .
(٢) هو أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر، الشيخ العلامة، أبو العباس القرطبي المالكي، ولد سـنة ٥٧٨هـ، وتوفي سنة ٦٥٦هـ. ينظر: البداية والنهايـة ١٧/ ٣٨١، وحـسن المحـاضرة، للـسيوطي ١/ ٢٦٠، والشذرات ٥/ ٢٧٣، ومعجم المؤلفين ١/ ٢١٤.
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ٧/ ٢٥.
(٤) شرح صحيح مسلم ٩/ ٢٧.
(٥) متفق عليه من حديث أبي هريرة، فأخرجه البخاري رقم ٧٤٩٤ ومسلم رقم ٧٥٨.

((.. فإذا مضى ثلث الليل الأول هبط الله تعالى إلى السماء الدنيا فلم يزل هناك حتى يطلع الفجر)) [١].

قال الدارمي – بعد ذكره أحاديث النزول- : فهذه الأحاديث قد جاءت كلها، وأكثر منها في نزول الرب -تبارك وتعالى- في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، لا ينكرها منهم أحد، ولا يمتنع من روايتها[٢].

وقال الإمام الصابوني[٣]: ويثبت أهل الحديث نزول الرب -سبحانه وتعالى- كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين، ولا تمثيل ولا تكييف، بل يثبتون ما أثبته رسول الله ﷺ، وينتهون فيه إليه، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره[٤].

وقد تقدم بيان أن السلف على أن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، ولا يخلو منه العرش[٥]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -في معرض رده على

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ١٢٠ عن أبي هريرة، وعن علي بن أبي طالب بإسناد حسن والدارمي ١٤٨٥ والبزار ٤٧٧ و٤٧٨ والطبراني في الأوسط ١٢٦٠.

(٢) الرد على الجهمية ص٧٩.

(٣) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل، الإمام أبو عثمان الصابوني، عالم مشارك في أنواع من العلوم ولد سنة ٣٧٣هـ وتوفي سنة ٤٤٩هـ. ينظر: السير ١٨/ ٤٠، وطبقات السبكي ٣/ ١١٧، والشذرات ٣/ ٢٨٢.

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص٤٦ وينظر: التوحيد لابن خزيمة ١/ ٢٨٩، وشرح أصول الاعتقاد ٣/ ٤٣٤، والتبصير في معالم الدين، للطبري ١٣٢، وأصول السنة، لابن أبي زمنين ص١١٠.

(٥) ينظر: إبطال التأويلات ص٢٦١ وينظر ص: ١٩.

المخالفين في صفة النزول-: فإن قال القائل: هو قادر على ما يشاء، قيل: فقل: هو قادر على أن ينزل -سبحانه وتعالى- وهو فوق عرشه [١].

وقال ابن القيم: إن للروح شأناً آخر غير شأن البدن، وهذا جبريل -صلوات الله وسلامه عليه- رآه النبي ﷺ وله ستمائة جناح، منها جناحان قد سد بهما ما بين المشرق والمغرب [٢]، وكان يدنو من النبي ﷺ حتى يضع ركبتيه إلى ركبتيه، ويديه على فخذيه، وما أظنك يتسع بطانك [٣] أنه كان حينئذٍ في الملأ الأعلى فوق السموات حيث هو بمستقره، وقد دنا من النبي ﷺ هذا الدنو، فإن التصديق بهذا له قلوب خلقت له، وأُهلت لمعرفته، ومن لم يتسع بطانه لهذا؛ فهو ضيق أن يتسع للإيمان بالنزول الإلهي إلى سماء الدنيا كل ليلة، وهو فوق سمواته على عرشه، ليس فوقه شيء ألبته، بل هو العالي على كل شيء، وعلوه من لوازم ذاته، وكذلك دنوه عشية عرفة من أهل الموقف، وكذا مجيئه يوم القيامة لمحاسبة خلقه وإشراق الأرض بنوره، وكذلك كل ما ورد من هذا الباب فهو حق وصدق، وهو فوق سمواته على عرشه [٤].

---

(١) شرح حديث النزول ص١١٣ .

(٢) ينظر: صحيح البخاري ٣٣٣٢ و٤٨٥٦ ومسلم رقم ١٧٤ .

(٣) البطان: حزام يشد على البطن، يقال: فلان عريض البطان: أي رخي البال، والمعنى: ما يتسع صدرك لمثل هذا الكلام. وينظر في معنى كلمة بطان من كتب اللغة: العين ١/ ١٧٢-١٧٣، وتهذيب اللغة ١٣/ ٣٧٦، والقاموس المحيط، مادة "بطن".

(٤) الروح ص١٤٠-١٤١ ونقله السفاريني في اللوائح ١/ ٣٤٢-٣٤٣ .

وصفة النزول نوع من أنواع القرب من الله لبعض عباده، قال العلامة ابن رجب: وهكذا القول في أحاديث النزول إلى سماء الدنيا، فإنه من نوع قرب الرب من داعيه وسائليه ومستغفريه [١].

ومن ينكر صفة النزول ينكر صفة القرب لله تعالى لمن يشاء من خلقه، وهم من ينكر قيام الفعل الاختياري بذات الرب تعالى.

والقرب في لغة العرب أعم من النزول، فيصح أن يقال لمن نزل: إنه قرب، لا العكس، والفرق واضح في اللغة، فقد يقرب الرب -جل وعلا- من شيء من مخلوقاته، ولا ينزل إلى ذلك الشيء، كقربه من الداعي والساجد مثلاً، لكنه -جلَّ وعلا- إذا نزل إلى شيء كنزوله إلى السماء الدنيا؛ فقد قرب من أهل الأرض؛ لأن النزول يتضمن القرب؛ ولذلك جاء في حديث النزول من حديث عمرو بن عبسة الصحيح مرفوعاً: " أقرب ما يكون الرب من العبد جوف الليل الآخر " وجاء الحديث بلفظ الدنو؛ لأنه وقت النزول الإلهي، ولما سُئل حماد بن زيد عن حديث النزول قال: هو في مكانه يقرب ممّن شاء من خلقه. فجعل الإجابة عامة في جميع أنواع القرب، وتضمّنت الإجابة: الإجابة على السؤال؛ لأن النزول من أنواع القرب، وبهذا يتبين أن بين النزول والقرب عموماً وخصوصاً مطلق.

---

(١) فتح الباري ٣/ ١٦٠ .

ومما يوضح الفرق في اللغة بين النزول والقرب، أن المخلوق قد يقرب من مخلوق آخر، ويكون ذلك المخلوق الآخر فوقه، كمن يقرب من شخص في أعلى الجبل، فلا يقال: نزل إليه، بل صعد إليه، بخلاف العكس، فكل من نزل إلى شيء قرب منه وممن دونه .

لكن قرب الرب -جلَّ وعلا- لا يكون إلا من علو؛ لأنه -جلَّ وعلا- فوق كل شيء، فلا يقرب -جلَّ وعلا- من شيء من مخلوقاته إلا من علو، بخلاف المخلوق، وهذا -والله أعلم- الذي حمل ابن القيم أن يقول عن دنوه -جلَّ وعلا- وقربه من موسى لما كلّمه من الشجرة: نزل إلى الشجرة التي كلم موسى منها [1].

إلا أن الصحيح في مثل هذا -والله تعالى أعلم- أن يقتصر على ألفاظ النصوص، فإن فيها ذكر القرب من موسى، وهو الدنو، لا النزول، وهناك فرق بينهما، فهو -جلَّ وعلا- قرب من موسى، وإن كان ذلك القرب دون السماء الدنيا.

ومما يوضح الفرق بين القرب والنزول في مثل هذا ما تقدم مما نقله ابن تيمية عن وهب بن منبه أن أيوب -عليه السلام- أظلّه الغمام، ثم نودي: " يا أيوب أنا الله، أنا قد دنوت منك، أنزل منك قريباً " [2]. لكن هذه الإسرائيليات إنما تذكر على وجه المتابعة لا الاعتماد عليها وحدها.

---

(١) شفاء العليل ص٨٨ .

(٢) تقدم تخريجه ص: ٤١.

والقرب –كما تقدم– ليس هو المعية، " وإذا قرب الرب تعالى من شيء، فقد يكون معه المعية الخاصة والعامة؛ لأنه –جلّ وعلا– إنما يقرب من المحسن والعابد والداعي والساجد، وذلك إحسان لهم وإكرام، وعناية خاصة بهم بسبب إحسانهم، وهذا من أنواع المعية الخاصة، وقد تنتفي المعية الخاصة عن بعض من يقرب الرب تعالى منهم، كقربه كل ليلة إلى السماء الدنيا، إذا جعلنا النزول عاماً، وليس خاصاً بمن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت دون غير العابد، وقد توجد المعية الخاصة، ولا توجد صفة القرب، فالقرب لغة واصطلاحاً غير المعية، والله أعلم "(١).

(١) من كتاب "صفة النزول الإلهي" لعبد القادر الغامدي ص١٨٧-١٨٩.

المبحث الثاني :

آثار الإيمان بصفة القرب .

مما ينبغي أن يعلم أن العلم بأسماء الله وصفاته ﷻ، والإيمان بها على ما يليق به سبحانه، وتدبرها يورث ثمرات عظيمة، وفوائد جليلة، تجعل صاحبها يذوق حلاوة الإيمان، وقد حرمها قوم كثيرون من المعطلة والمؤولة والمشبهة.

وأكمل الناس عبودية: المتعبد بجميع الأسماء والصفات، التي يطلع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، كمن يحجبه التعبد باسمه القدير عن التعبد باسمه الحليم الرحيم، أو يحجبه عبودية اسمه المعطي عن عبودية اسمه المانع، أو عبودية اسمه الرحيم العفو الغفور عن اسمه المنتقم، ونحو ذلك.

وهذه طريقة الكُمَّل من السائرين إلى الله، وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [1]. والدعاء بها يتناول دعاء المسألة، ودعاء الثناء، ودعاء التعبد، وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويثنوا عليه بها، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها، وهو سبحانه يحب موجب أسمائه وصفاته، فهو عليم يحب كل

(١) سورة الأعراف ١٨٠ .

عليم، جواد يحب كل جواد، جميل يحب الجمال، عفو يحب العفو وأهله، حييّ يحب الحياء وأهله، شكور يحب الشاكرين، صبور يحب الصابرين.

والله يحب أسماءه وصفاته، ويحب المتعبدين له بها، ويحب من يسأله ويدعوه بها، ويحب من يعرفها، ويعقلها، ويثني عليه بها، ويحمده، ويمدحه بها، كما في الصحيح " لا أحد أحب إليه المدح من الله، من أجل ذلك أثنى على نفسه.." [(١)].

ومن الصفات الاختيارية لله ﷻ ما تقدم الكلام فيها، وهي صفة القرب، فإن الإيمان بهذه الصفة الجليلة العظيمة يورث العبد المسلم آثاراً عظيمة، ومنها :

أولاً: الاعتقاد بأن الله منزّه عن الحلول بالمخلوقات، وأنه فوق كل شيء، مطّلع على كل شيء، بائن عن خلقه، مستوٍ على عرشه، وهو قريب من بعض عباده، فإذا احتاج العبد إلى ربّه؛ وجده قريباً منه، فيدعوه، فيستجيب دعاءه، وينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الآخر من الليل، كما يليق به سبحانه، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، فيورث ذلك حرصاً

(١) متفق عليه من حديث ابن مسعود، فأخرجه البخاري رقم ٤٦٣٤ ومسلم ٢٧٦٠ وينظر: معتقد أهل السنة في أسماء الله الحسنى، للتميمي ص٣٧٤-٣٧٥.

*تنبيه: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: واسم المنتقم ليس من أسماء الله الحسنى الثابتة عن النبي ﷺ، وإنما جاء في القرآن مقيّداً كقوله تعالى: { **إنّا من المجرمين منتقمون** } سورة السجدة ٢٢. وقوله تعالى: { **والله عزيز ذو انتقام** } سورة المائدة ٩٥. والحديث الذي في عدد الأسماء الحسنى الذي يذكر فيه المنتقم، ليس هو عند أهل المعرفة بالحديث من كلام النبي ﷺ. مجموع الفتاوى ٨/ ٩٦.

عند العبد بتفقد هذه الأوقات التي يخلو فيها مع ربه القريب منه، فهو سبحانه قريب في علوه بعيد في دنوه [١].

ثانياً: الإيمان بهذه الصفة يثمر التعبد باسمه القريب؛ فإنه من أسماء الله الحسنى، كما عدّه كثير من العلماء [٢].

وعند من يقرر أن الباطن يدل على القرب، فيكون التعبد باسم الباطن يثمر القرب والمعية [٣].

وبناءً على ماتقدم من أن القرب ليس عاماً لكل أحد، بل هو خاص، فيقرر العلماء أن اسم القريب ليس متعلقاً بكل موجود، بل يتعلق بما يناسبه فقط، فلذلك قرن اسم القريب بالمجيب، فهو مقرون بالتوبة والاستغفار، فالله قريب مجيب لاستغفار المستغفرين التائبين إليه، كما أنه رحيم ودود، وقد قرن القريب بالمجيب، ومعلوم أنه لا يقال: إنه مجيب

---

(١) ينظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، لعلوي السقاف ص٣٥-٣٦.

(٢) قال د. محمد التميمي في كتابه: "معتقد أهل السنة في أسماء الله الحسنى" ص١٦١-١٦٢: ورد هذا الاسم في رواية الوليد بن مسلم عند ابن خزيمة، وفي طريق عبد الملك بن محمد الصنعاني، وطريق عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان، وفي جمع جعفر الصادق، وسفيان ابن عيينة، والخطابي، وابن منده، والحليمي، والبيهقي، وابن حزم، والأصبهاني، وابن العربي، والقرطبي، وابن القيم، وابن الوزير، وابن حجر، والسعدي، والعثيمين، والقحطاني، والحمود، والشرباصي، ونور الحسن خان. وينظر: النعوت، للنسائي ٢٤٥، كما جاء هذا الاسم بلفظ الأقرب، ينظر: معتقد أهل السنة ص٢١٩ .

(٣) ينظر: شرح الهراس، للواسطية ص١٢١.

لكل موجود، وإنما الإجابة لمن سأله ودعاه، فكذلك قربه، سبحانه وتعالى[١].

ثالثاً: الإيمان بصفة القرب يثمر عبودية الدعاء، قال ﷻ : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ**..﴾، قال العلامة ابن عاشور[٢]: وفيه لطيفة قرآنية، وهي إيهام أن الله تعالى تولى جوابهم عن سؤالهم بنفسه، إذ حذف في اللفظ ما يدل على وساطة النبي ﷺ تنبيهاً على شدة قرب العبد من ربه في مقام الدعاء [٣].

وتقدم أن أحد أنواع القرب : قرب الله من بعض عباده قرب إجابة لدعائهم، فيحسن للمسلم أن يكثر من الدعاء في الأحوال التي يقرب الله فيها منه، ومن ضمن هذه الأحوال: السجود، كما قال ﷻ : ﴿ **وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب**﴾[٤].

والمراد: القرب من الداعي في سجوده، وكما قال ﷺ : ((**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**))[٥]. وقال: ((**وأما السجود**

(١) ينظر: شرح حديث النزول ص١٢١، ومجموع الفتاوى ٥/ ٤٩٤ .

(٢) هو محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة بها، ولد سنة ١٢٩٦هـ وتوفي سنة ١٣٩٣هـ. ينظر: الأعلام ٦/ ١٧٤، ومعجم المؤلفين ٣/ ٣٦٣.

(٣) تفسير التحرير والتنوير ٢/ ١٧٩ .

(٤) سورة العلق ١٩ .

(٥) صحيح مسلم ٤٨٢ عن أبي هريرة.

فأكثروا فيه من الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم)) [١]. فأمر بالاجتهاد في الدعاء في السجود مع قرب العبد من ربه وهو ساجد، وقد أمر المصلي أن يقول في سجوده : سبحان ربي الأعلى. [٢].

وقد ثبت في الصحيح [٣] أن في الليل ساعة يُستجاب الدعاء فيها، كما في يوم الجمعة، وذلك كل ليلة، وأقرب ما يكون العبد من ربه في جوف الليل الآخر[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فلما كان السجود غاية سفول العبد وخضوعه؛ سبّح اسم ربه الأعلى، فهو سبحانه الأعلى، والعبد الأسفل، كما أنه الرب، والعبد العبد، وهو الغني، والعبد الفقير، وليس بين الرب والعبد إلا محض العبودية، فكلما كملها قرب العبد إليه؛ لأنه سبحانه برّ جواد محسن، يعطي العبد ما يناسبه، فكلما عظم فقره إليه، كان أغنى، وكلما عظم ذله له كان أعز [٥].

---

(١) صحيح مسلم ٤٧٩ عن ابن عباس. وقَمِنَ بفتح القاف والميم، معناه: حقيق وجدير. ينظر: إكمال المعلم، لعياض ٢/ ٣٩٥ .

(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ٢٣٧ والحديث رواه أحمد ٤/ ١٥٥ عن عقبة بن عامر بإسناد حسن، وأبو داود ٨٦٩ وابن ماجة ٨٨٧ وابن حبان ١٨٩٨ والحاكم ١/ ٢٢٥ والدارمي ١٣٠٥ ونحوه في مسلم عن حذيفة ٧٧٢ .

(٣) ينظر: صحيح مسلم ٧٥٨، ومسند أحمد ٤/ ١١٣، وسنن الترمذي ٣٥٩٧، والدعاء للطبراني ٢/ ٨٣٩ وما بعدها .

(٤) مجموع الفتاوى ٥/ ٢٤٨ .

(٥) المصدر السابق ٥/ ٢٣٧-٢٣٨ .

رابعاً: الإيمان بصفة القرب يورث مراقبة الله باستشعار قربه، فإن مقام الإخلاص – كما قال العلامة ابن رجب -: أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه، واطلاعه عليه، وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله، وعَمِل عليه، فهو مخلص لله؛ لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل.

ثم بيّن رحمه الله أن القرآن والسنة دلا على استحضار هذا القرب في حال العبادات، وساق جملة من نصوص القرب[1].

وقال العلامة ابن سعدي –في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** ﴾-: يخبر تعالى أنه المنفرد بخلق جنس الإنسان، ذكورهم وإناثهم، وأنه يعلم أحواله وما يسره ويوسوس في صدوره، وأنه أقرب إليه من حبل الوريد،.. وهذا مما يدعو الإنسان إلى مراقبة خالقه، المطلع على ضميره وباطنه، القريب منه في جميع أحواله، فيستحي منه أن يراه حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره، وكذلك ينبغي له أن يجعل الملائكة الكرام الكاتبين منه على بال، فيجلّهم ويوقرهم، ويحذر أن يفعل أو يقول ما يكتب عنه مما لا يرضي رب العالمين، ولهذا قال: ﴿ **إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ** ﴾ أي يتلقيان عن العبد أعماله كلها واحد عن اليمين يكتب الحسنات، والآخر عن الشمال يكتب السيئات، وكل منهما قعيد بذلك متهيء لعمله

(١) جامع العلوم والحكم ١/ ١٢٩-١٣٠ .

الذي أعدَّ له، ملازم له، ما يلفظ من قول خير أو شر إلا لديه رقيب عتيد، مراقب له، حاضر لحاله (١).

خامساً: من لوازم المحبة لله القرب منه، وقرب الله من لوازم محبته، فكلما كان الحب أعظم كان القرب أكثر (٢).

ولا شك أن كل من أحب شيئاً؛ فإنه لابد أن يعرفه، ويقرب من قلبه، والذي يبغضه يبعد عن قلبه (٣).

يقول ابن القيم: والعبد في الشاهد يجد روحه قريبة جداً من محبوب بينه وبينه مفاوز تقطع فيها أعناق المطي، ويجده أقرب إليه من جليسه، كما قيل:

ألا رُبَّ من يدنو ويزعم أنه   يحبك والنائي أحب وأقرب

وأهل السنة أولياء رسول الله ﷺ وورثته وأحباؤه، الذين هو عندهم أولى بهم من أنفسهم، وأحب إليهم منها، يجدون نفوسهم أقرب إليه، وهم في الأقطار النائية عنه من جيران حجرته في المدينة، والمحبون المشتاقون للكعبة والبيت الحرام يجدون قلوبهم وأرواحهم أقرب إليها من جيرانها ومن حولها، هذا مع عدم تأتي القرب منها، فكيف بمن يقرب من خلقه كيف يشاء، وهو مستوٍ على عرشه ؟.

---

(١) تفسير ابن سعدي ص٨٠٥ .
(٢) طريق الهجرتين، لابن القيم ص٢٤-٢٥، والروضة الندية ٢٢١ .
(٣) شرح النزول ص٩٩ .

والقصد أن هذا القرب يدعو صاحبه إلى ركوب المحبة، وكلما ازداد حباً، ازداد قرباً، فالمحبة بين قربين: قرب قبلها، وقرب بعدها (١).

ولا شك أن الطريق الوحيد للوصول إلى محبة الله للمؤمنين هو التعبد بالفرائض، والتقرب إلى الله بالنوافل، قال الحليمي(٢) – معلقاً على قوله ﷺ: ((**ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ..**)) (٣) -: فإن قال قائل: ما معنى محبة الله تعالى جده ؟ ثم ذكر عدة أمور إلى أن قال: والثامن: أن يحرص على أداء الفرائض والتقرب إليه من نوافل الخير بما يطيقه (٤).

وقال ﷻ في الحديث القدسي: ((**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه..**)) (٥). قال العلامة السفاريني(٦) –معلقاً

(١) مدارج السالكين ٢/ ٢٦٦-٢٦٧ وينظر: الدرر السنية، لابن قاسم ٣/ ٣٤٠-٣٤١.
(٢) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم، الشيخ العلامة، أبو عبد الله الشافعي البخاري، ولد سنة ٣٣٨هـ وتوفي سنة ٤٠٣هـ. ينظر: السير ١٧/ ٢٣١، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٣٠، وطبقات السبكي ٤/ ٣٣٣، والشذرات ٣/ ١٦٧ .
(٣) متفق عليه من حديث أنس، فأخرجه البخاري ٢١ و١٦ ومسلم رقم ٤٣ .
(٤) المنهاج في شعب الإيمان ١/ ٤٩٦-٤٩٧ .
(٥) صحيح البخاري رقم ٦٥٠٢ عن أبي هريرة.
(٦) هو محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان، الشيخ العلامة شمس الدين أبو العون السفاريني الحنبلي، ولد سنة ١١١٤هـ، وتوفي سنة ١١٨٨هـ ينظر: مختصر طبقات الحنابلة، لابن الشطي ١٢٧-١٣٠، وسلك الدرر، للمرادي ٤/ ٣١، ومعجم المؤلفين ٣/ ٦٥ .

على هذا الحديث- : فدلّ هذا الحديث أنه لا طريق يوصل إلى التقرب إلى الله وولايته ومحبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسوله ﷺ من أداء الفرائض، واجتناب المحارم، والاهتمام بنوافل العبادات الموصلة لمحبة الله تعالى، فمن أحب الله سبحانه رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره[1].

وقد تقدم أنه ليس بين الرب والعبد إلا محض العبودية، فكلما كمّلها العبد قرب إلى الله ﷻ[2].

والعبد بتكميله للطاعات والنوافل واجتناب ما نهى الله ورسوله عنه، يصير محباً لما أحب الرب، مبغضاً لما أبغض، موالياً لمن يوالي، معادياً لمن يعادي، فيتحد مراده مع المراد المأمور به الذي يحبه الله ويرضاه .

وهذا مما يدخل في موالاة العبد لربه، وموالاة الرب لعبده، فإن الولاية ضد العداوة، والولاية تتضمن المحبة والموافقة، والعداوة تتضمن البغض والمخالفة.

وتقدم الحديث القدسي: ((**وما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه..**)) فأخبر -سبحانه وتعالى- أنه يقرب العبد بالفرائض، ولا يزال يتقرب بالنوافل حتى يحبه الله، فيصير العبد محبوباً لله، كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى**

(١) شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد ١٤١ .

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى ٥/ ٢٣٨ .

يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [(١)]، وقال: ﴿ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [(٢)]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [(٣)]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا ﴾ [(٤)]، وقال: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [(٥)]. فقد أخبر أنه يحب المتبعين لرسوله والمجاهدين في سبيله، وأنه يحب الصابرين والتوابين والمتطهِّرين، وهو سبحانه يحب كل ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب [(٦)].

---

(١) سورة آل عمران ٣١ .

(٢) سورة البقرة ١٩٥ .

(٣) سورة البقرة ٢٢٢ .

(٤) سورة الصف ٤ .

(٥) سورة آل عمران ١٤٦ .

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ٥١٠-٥١٢ .

الفصل الرابع : آراء المبتدعة في صفة القرب ونقضها

افترق الناس في هذه الصفة إلى عدة أقسام :

١-الجهمية المعطلة الذين يقولون: إن الله ليس داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، فلا يقولون بعلو الله ولا فوقيته، وهو قول أكثر المعتزلة .

٢-حلولية الجهمية والمتصوفة الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان. فهم يحتجون بنصوص المعية والقرب، ويتأولون نصوص العلو والاستواء .

٣-من يقول: إن الله بذاته فوق العرش، وهو بذاته في كل مكان، وهو قول طوائف من أهل الكلام والتصوف.

٤-من يؤول هذه الصفة بالمنزلة والمكانة والدرجة، أو الرحمة والإنعام، أو القدرة والسلطان، ونحو ذلك من التأويلات، وهم الأشاعرة ومن وافقهم.

٥-قول سلف الأمة وأئمتها، وهو أن الله -سبحانه وتعالى- فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، وهم منه بائنون، وهو مع العباد

عموماً بعلمه، ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد، وهو أيضاً قريب مجيب [١].

وسنذكر فيما يلي من المباحث آراء المبتدعة، ونرد عليها .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ٢٢٧-٢٣١ و٦/ ١٣ .

المبحث الأول : معطلة الجهمية[١] والمعتزلة[٢] .

يرى الجهمية أنه لا يجوز أن يوصف الله بما يوصف به خلقه؛ لأن ذلك -بزعمهم- يقتضي التشبيه والتجسيم[٣]. قال الإمام أحمد -حاكياً قول جهم-: وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه، أو حدّث عنه رسوله ﷺ كان كافراً، وكان من المشبهة [٤].

وقال الشهرستاني[٥] -حاكياً قول جهم- : ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء، منها قوله: لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه؛ لأن ذلك يقتضي تشبيهاً [٦].

---

(١) الجهمية نسبة إلى الجهم بن صفوان السمرقندي، أبي محرز الراسبي المبتدع، كان يقول بنفي الأسماء والصفات والجبر، والقول بأن الإيمان هو المعرفة فقط، وفناء الجنة والنار، وإنكار رؤية الله في الآخرة، وغير ذلك من البدع. ينظر: الفرق بين الفرق ص١٩٤، ومقالات الإسلاميين ١/ ٢١٤، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص١٠٣، والملل والنحل ٨٦.

(٢) هم فرقة اعتزل إمامها واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري لما خالفه في حكم مرتكب الكبيرة، فسموا معتزلة، ويقوم مذهبهم على خمسة أصول: التوحيد، وقصدوا به نفي الصفات، والعدل، وقصدوا به إنكار القدر، والقول بأن العبد يخلق فعل نفسه، والمنزلة بين المنزلتين، وقصدوا به أن صاحب الكبيرة في الدنيا في منزلة بين منزلتي الإيمان والكفر، والوعد والوعيد، وعنوا به إيجاب التنعيم والتعذيب للطائعين والعصاة على الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمنوه الخروج على ولاة الأمر بالسيف. ينظر: الملل والنحل ٤٣، ومقالات الإسلاميين ١/ ٢٣٥، واعتقادات فرق المسلمين ص٢٣، والفرق بين الفرق ١١٢ .

(٣) ينظر: الملل والنحل ٨٦، والفرق بين الفرق ١٩٩ .

(٤) الرد على الجهمية ص: ٢٨ .

(٥) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، أبو الفتح شيخ أهل الكلام والحكمة، ولد سنة ٤٦٧هـ وتوفي سنة ٥٤٨، وقيل ٥٤٩هـ. ينظر: السير ٢٠/ ٢٨٦، وطبقات السبكي ٦/ ١٢٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٧٣، والشذرات ٤/ ١٤٩ .

(٦) الملل والنحل ص٨٦ .

ويعد الجهمية أول من أنكر قيام الأفعال الاختيارية بذات الله، ومنها القرب والدنو[١]. فليس عندهم أن الله يقرب من عباده، ولا عندهم تقرب من العباد إليه أصلاً[٢].

ويؤولون قرب الله الوارد في النصوص بالثواب[٣]. ويتأولون النصوص التي تتعلق بالاستواء على العرش بقولهم: إن الله ليس فوق العرش، وإن نسبة العرش والكرسي إليه سواء، وإنه لا داخل العالم ولا خارجه، لكن يثبتون حركة العبد والملائكة، فيقولون: قرب العبد إلى الله حركة ذاته إلى الأماكن المشرفة عند الله، وهي السموات وحملة العرش والجنة، وبذلك يفسرون معراج النبي ﷺ[٤].

والجهمية والمعتزلة ممن يقولون بخلق القرآن، وصفة الكلام الإلهي لها ارتباط بصفة القرب، حيث إن " الذين يثبتون أن الله كلّم موسى بمشيئته وقدرته كلاماً قائماً به؛ هم الذين يقولون بدنوه من عباده بنفسه، وأما من قال: القرآن مخلوق أو قديم؛ فأصل هؤلاء أنه لا يمكن أن يقرب من شيء، ولا يدنو إليه... ونصوص الكتاب والسنة وآثار السلف متظاهرة بالإثبات، وليس على النفي دليل واحد لا من كتاب ولا من سنة ولا من

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ٤٦٦، وشرح حديث النزول ٩٩ .
(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ٢٤٩، وشرح حديث النزول ٩٩، ونقض التأسيس ٢/ ق ١٧٥ .
(٣) شرح حديث النزول ٩٩، ومجموع الفتاوى ٥/ ٤٦٥ .
(٤) مجموع الفتاوى ٦/ ٧ .

أثر، وإنما أصله قول الجهمية "[١]. والمعتزلة رأيهم في الصفات الاختيارية من جنس رأي الجهمية[٢].

ومن المعتزلة من يقول بقول حلولية الجهمية الآتي ذكره، وهو أن الله في كل مكان[٣]. فالمعتزلة يؤولون الصفات الاختيارية، ومن ضمنها القرب، ويزعمون أن في وصف الله بها ما يقتضي كونه جسماً؛ لأن الحركة والمجيء والقرب لا يحصل إلا من الأجسام[٤]. ويقولون: إن القرب الوارد في النصوص تمثيل واستعارة[٥].

وللجهمية والمعتزلة شُبه أخرى نفوا لأجلها الصفات، مثل أن أخص وصف للرب عندهم القدم، وأن كل ما سواه محدث، ولو كان له صفات وأفعال لاستلزم ذلك تعدد القدماء، ولشاركته هذه الصفات في أخص وصفه وهو القدم، وكان مركباً من تلك الذات والصفات[٦].

---

(١) من شرح حديث النزول ص١٠٠ .

(٢) المعتزلة جهمية في الصفات، وهم من الدرجة الثانية في التجهم، فهم يقرون بأسماء الله الحسنى في الجملة، لكن ينفون صفاته، وهم أيضاً لا يقرون بأسماء الله الحسنى كلها على الحقيقة، بل يجعلون كثيراً منها على المجاز، ينظر: شرح نونية ابن القيم، لابن عيسى ١/ ٢٥١.

(٣) ينظر: الأصول الخمسة، لعبد الجبار ٢٢٦، وينظر أيضاً في حكاية قولهم من كتب السلف: إثبات صفة العلو، لابن قدامة ١٢٧-١٢٨، والتمهيد، لابن عبد البر ٧/ ١٢٨، والحجة في بيان المحجة، للأصبهاني ٢/ ١١٠، والرد على الجهمية، للدارمي ص٣٨٢ .

(٤) شرح الأصول الخمسة ٢١٧-٢١٨، والمختصر في أصول الدين له - ضمن رسائل العدل والتوحيد - ١/ ١٧٤ .

(٥) الكشاف، للزمخشري ١/ ٣٣٧ وحكاه الشوكاني في تفسيره عنه ١/ ٢٥٣ .

(٦) المغني، لعبد الجبار ٤/ ٢٥٢، وشرح الأصول الخمسة ١٩٥ و٢١٦ و٢١٨ ، والمحيط بالتكليف، لعبد الجبار ٢٠٣، ومروج الذهب، للمسعودي ٣/ ٢٦٩ .

وهذه الشبهة ليست بصحيحة؛ فإن أخص وصف لله مالا يتصف به غيره، مثل كونه رب العالمين، وأنه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، وأنه إله واحد، ونحو ذلك، والصفة لا توصف بشيء من ذلك، ولا يقال صفاته قديمة، بل الرب بصفاته قديم، وذلك لا يقتضي مشاركة الصفة له في شيء من خصائصه، فإن القديم ليس من خصائص الذات المجردة، بل هو من خصائص الذات الموصوفة بالصفات، وإلا فالذات المجردة لا وجود لها، فضلاً عن أن تختص بالقدم، ووجود ذات بلا صفات لا وجود له إلا في الذهن، والذهن يفرض أشياء مستحيلة الوقوع، فعلم أن الممتنع تعدد الذوات، لا تعدد صفات لذات واحدة[1].

ويُقال لهم: هذه نخلة واحدة مع أن لها صفات كثيرة، فلها جذور، ولها ساق، ولها سعف، ولها طول معين، وعرض معين، ولون معين، ولها أشياء كثيرة، مع أنها نخلة واحدة، فتعدد الصفات لذات واحدة ليس ممتنعاً، بل الذات التي لا صفات لها هي الممتنع وجودها، فلو قال قائل: عندي نخلة، فقيل له: لها جذع ؟ قال: لا، قيل له: لها سعف؟ قال: لا، قيل له: لها جذور؟ قال: لا، ولم يصفها بشيء من الصفات، قيل له: ليس عندك نخلة؛ لأنه ما من ذات إلا ولها صفات، وأما ذات بلا صفات؛ فلا

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية ٤/ ٢٢٦-٢٢٧، ولوامع الأنوار البهية ١/ ٢١٥.

وجود لها ألبتة، وإنما يفرضها الذهن فرضاً، وهذا حقيقة قول المعتزلة والجهمية (١).

ولا شك أن قول الجهمية والمعتزلة ضلال خطير، ومناقضة لتوحيد الرسل، ولذلك حذّر العلماء والأئمة منهم وضللوهم وكفروهم بهذه المقالات (٢).

ويمكن الرد على أباطيل الجهمية والمعتزلة في إنكارهم صفة القرب وتأويله بالآتي :

١- الأدلة العامة من الكتاب والسنة وأقوال السلف في اتصاف الله ﷻ بالصفات الاختيارية ومنها القرب، ففي القرآن ما يدل على إثبات هذه الصفات في أكثر من ثلاثمائة موضع (٣)، بل هي أكثر من أن تحصر (٤).

وفي السنة أحاديث كثيرة صحيحة لا يمكن حصرها (٥). وكلام السلف والأئمة ومن نقل مذهبهم في هذا الأصل كثير يوجد في كتب التفسير والأصول (٦).

---

(١) ينظر: الرد على الجهمية، للإمام أحمد ص٤٩ .

(٢) سيأتي ذكر بعض كلام العلماء فيهم.

(٣) ينظر: منهاج السنة ٢/ ٣٩٠، ومجموع الفتاوى ٨/ ٢٢٢-٢٢٤ و٢٣٣، وجامع الرسائل، لابن تيمية ٢/ ٢٣، ودرء التعارض ٢/ ١١٥ . وينظر بيان ابن القيم أن سورة الفاتحة ترد على الجهمية في الصفات في مدارج السالكين ١/ ٦٤-٦٥ .

(٤) درء التعارض ٢/ ٢٤٧ .

(٥) مجموع الفتاوى ٦/ ٢٣٣، ودرء التعارض ٢/ ١٢٤، وجامع الرسائل ٢/ ٢٣ .

(٦) درء التعارض ٢/ ٢٠ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : لا يمكن أحد أن ينقل عن محمد ﷺ ولا عن إخوانه المرسلين ما يدل على قول النفاة، لا نصاً ولا ظاهراً، بل الكتب الإلهية المتواترة عنهم، والأحاديث المتواترة عنهم تدل على نقيض قول النفاة، وتوافق قول أهل الإثبات، وكذلك الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأئمة المسلمين من أرباب المذاهب الأربعة وشيوخ المسلمين المتقدمين، لا يمكن أحد أن ينقل نقلاً صحيحاً عن أحد منهم بما يوافق قول النفاة، بل المنقول المستفيض المتواتر عنهم يوافق قول أهل الإثبات، فنقل مثل هذا عن أهل الملة خطأ ظاهر، ولكن أهل الكلام والنظر من أهل الملة تنازعوا في هذا الأصل لما حدث مذهب الجهمية نفاة الصفات، وذلك بعد المائة الأولى في أواخر عصر التابعين، ولم يكن قبل هذا يعرف في أهل الملة من يقول بنفي الصفات، ولا بنفي الأمور الاختيارية القائمة بذاته، ولما حصل هذا أنكر السلف عليهم كما هو متواتر معروف [1].

وهذه الأدلة صريحة في إثبات الصفات الاختيارية القائمة به كالاستواء إلى السماء، والاستواء على العرش، والقبض، والطي، والإتيان، والمجيء، والنزول، ونحو ذلك، بل والخلق والإحياء والإماتة، فإن الله تعالى وصف نفسه بالأفعال الملازمة كالاستواء، وبالأفعال المتعدية، كالخلق، والفعل المتعدي مستلزم للفعل اللازم، فإن الفعل لابد له من فاعل، سواء كان متعدياً إلى مفعول أو لم يكن، والفاعل لابد له من فعل، سواء

(١) درء التعارض ٤/ ٢٣-٢٤ و٢/ ١٨، ومنهاج السنة ٢/ ٣٩٠ .

كان فعله مقتصراً عليه أو متعدياً إلى غيره، والفعل المتعدي إلى غيره لا يتعدى حتى يقوم بفاعله، إذ كان لابد له من الفاعل، وهذا معلوم سمعاً وعقلاً:

أما السمع فإن أهل العربية التي نزل بها القرآن، بل وغيرها من اللغات متفقون على أن الإنسان إذا قال: قام فلان وقعد، وقال: أكل فلان الطعام وشرب الشراب، فإنه لابد أن يكون في الفعل المتعدي إلى المفعول به ما في الفعل اللازم وزيادة، إذ كلتا الجملتين فعلية، وكلاهما فيه فعل وفاعل، والثانية امتازت بزيادة المفعول، فقوله تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ (١) تضمن فعلين: أولهما متعدٍّ إلى المفعول به، والثاني مقتصر لا يتعدى، فإذا كان الثاني – وهو قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى}– فعلاً متعلقاً بالفاعل، فقوله {خَلقَ} كذلك بلا نزاع بين أهل العربية ...

وأما من جهة العقل، فمن جوّز أن يقوم بذات الله تعالى فعل لازم له كالمجيء والاستواء، ونحو ذلك، لم يمكنه أن يمنع قيام فعل يتعلق بالمخلوق كالخلق والبعث والإماتة والإحياء، كما أن من جوّز أن تقوم به صفة لا تتعلق بالغير كالحياة، لم يمكنه أن يمنع قيام الصفة المتعلقة

---

(١) سورة الحديد ٤ .

بالغير كالعلم والقدرة والسمع والبصر، ولهذا لم يقل أحد من العقلاء بإثبات أحد الضربين دون الآخر.

وإذا كان كذلك كان حدوث ما يحدثه الله تعالى من المخلوقات تابعاً لما يفعل من أفعاله الاختيارية القائمة بنفسه، وهذه سبب الحدوث، والله تعالى حيٌّ قيّوم لم يزل موصوفاً بأنه يتكلم بما شاء، فَعّال لما يشاء، وهذا قد قاله العلماء الأكابر من أهل السنة والحديث، ونقلوه عن السلف والأئمة، وهو قول طوائف كثيرة من أهل الكلام والفلسفة المتقدمين والمتأخرين، بل هو قول جمهور المتقدمين من الفلاسفة [1].

٢- يسمي هؤلاء نفي الصفات توحيداً ؟!، وتوحيدهم مناقض لتوحيد الرسل من كل وجه، فإن مضمونه إنكار حياة الرب، وعلمه، وقدرته، وسمعه، وبصره، وكلامه، واستوائه على عرشه، ورؤية المؤمنين له بأبصارهم عياناً من فوقهم يوم القيامة، وإنكار وجهه الأعلى، ويديه ومجيئه وإتيانه وقربه ومحبته ورضاه وغضبه وضحكه، وسائر ما أخبر الرسول ﷺ عنه. ومعلوم أن هذا التوحيد هو نفس تكذيب الرسول ﷺ بما أخبر به عن الله، فاستعار له أصحابه اسم التوحيد [2].

---

(١) درء التعارض ٢/ ٣-٥، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة، للمحمود ٣/ ١٢٠٧-١٢٠٩، وصفة النزول، للغامدي ٣٧٩ .

(٢) مختصر الصواعق ص١٧٩ .

٣- لوازم قول الجهمية والمعتزلة في ذلك خطيرة شنيعة معلومة البطلان بالضرورة من دين الإسلام، وهي من أعظم الكفر، وبطلان الإلزام يستلزم بطلان ملزومه، فإن من لوازمه أنه لا يُستفاد من خبر الرسول ﷺ عن الله في هذا الباب علم ولا هدى، ولا بيان الحق في نفسه، ومن لوازمه أن يكون كلامه متضمناً لضد ذلك في ظاهره وحقيقته، ومن لوازمه القدح في معرفته وعلمه، أو في فصاحته وبيانه، ومن لوازمه أن يكون المعطلة النفاة أعلم بالله منه أو أنصح، ومن لوازمه أن يكون أشرف الكتب وأشرف الرسل قد قصّر في هذا الباب غاية التقصير، وأفرط في التجسيم والتشبيه غاية الإفراط... ومن لوازمه أن القلوب لا تحبه، ولا تريده، ولا تبتهج له، ولا تشتاق إليه، ولا تلتذّ بالنظر إلى وجهه الكريم في دار النعيم، وهم صرحوا بذلك كله.. ومن لوازمه -بل صرّحوا به- أن رسول الله ﷺ لم يعرج به إلى الله حقيقة، ولم يدن من ربه.. ومن لوازمه أن الله تعالى لم يفعل شيئاً، ولا يفعل شيئاً، فإن الفعل عندهم عين المفعول، وهو غير قائم بالرب، فلم يقم به عندهم فعل أصلاً.. ولوازمهم أضعاف أضعاف ما ذكرناه[1].

(١) مختصر الصواعق ص١٨٠-١٨٢.

وأما مسألة الجسمية؛ فقد قـرر الأئمـة أن إثبـات الـصفات لا يـستلزم التشبيه والتجسيم (١)، فإننا إذا قلنـا: إن الله يقـرب مـن عبـاده كـما يليـق بجلاله وعظمته، قرباً ليس له نظير وشبيه، تنتفي هذه الشبهة.

ويُناقش المخالفون في هذه المسألة فيُقال لهم: إذا قال القائل: إنّ البـاري تعالى جسم، قيل له: أتريد أنه مركب من الأجـزاء كالـذي كـان متفرقـاً فرُكب؟ أو أنه يقبل التفريق سواء قيل: اجتمع بنفسه أو جمعـه غـيره؟ أو أنه من جنس شيء من المخلوقات؟ أو أنه مركب من المادة والصورة؟ أو من الجواهر المنفردة؟ فإن قال هذا، قيل: هذا باطل. وإن قال: أريد به أنه موجود أو قـائم بنفـسه.. أو أنـه موصـوف بالـصفات، أو أنـه يـرى في الآخرة، أو أنه يمكن رؤيته، أو أنه مباين للعالم، فوقه، ونحو هذه المعـاني الثابتة بالشرع والعقل، قيل له: هذه معان صحيحة، ولكن إطـلاق هـذا اللفظ على هذا بدعة في الشرع، مخالف للغة، فـاللفظ إذا احتمـل المعنـى الحق والباطـل لم يطلـق، بـل يجـب أن يكـون اللفـظ مثبتـاً للحـق نافيـاً للباطل.

وإذا قال: ليس بجسم، قيل: أتريد بذلك أنـه لم يركبـه غـيره، ولم يكـن أجزاءً متفرقة، أو أنه لا يقبل التفريق والتجزئة، كالذين ينفصل بعضه عن بعض؟ أو أنه ليس مركباً من الجواهر المنفردة، ولا مـن المـادة والـصورة، ونحو هذه المعاني.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٦٠ .

أو تريد به شيئاً يستلزم نفي اتّصافه بالصفات بحيث لا يُرى، ولا يتكلم بكلام يقوم به، ولا يباين خلقه، ولا يصعد إليه شيء، ولا ينزل منه شيء، ولا تعرج إليه الملائكة ولا الرسول، ولا ترفع إليه الأيدي، ولا يعلو على شيء، ولا يدنو منه شيء، ولا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين ولا محايث له، ونحو ذلك من المعاني السلبية التي لا يعقل أن يتّصف بها إلاّ المعدوم؟ فإن قال: أردت الأول. قيل: المعنى صحيح، لكن المطلقون لهذا النفي أدخلوا فيه هذه المعاني السلبية، ويجعلون ما يوصف به من صفات الكمال الثبوتية مستلزمة لكونه جسماً، فكل ما يذكر من الأمور الوجودية، يقولون: هذا تجسيم، ولا ينتفي ما يسمونه تجسيماً إلا بالتعطيل المحض؛ ولهذا كل من نفى شيئاً قال لمن أثبته: إنه مجسم، فغلاة النفاة من الجهمية والباطنية يقولون لمن أثبت له الأسماء الحسنى: إنه مجسم، ومثبتة الأسماء دون الصفات من المعتزلة ونحوهم يقولون لمن أثبت الصفات: إنه مجسم، ومثبتة الصفات دون ما يقوم به من الأفعال الاختيارية –كالأشاعرة– يقولون لمن أثبت ذلك: إنه مجسم، وكذلك سائر النفاة .

وكل من نفى ما أثبته الله ورسوله بناءً على أن إثباته تجسيم؛ يلزمه فيما أثبته[1].

ولا شك أن الجهمية والمعتزلة قد ضلوا عن سواء السبيل بهذه البدع، ولذا أفتى الأئمة بضلالهم وكفرهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

(١) منهاج السنة، لابن تيمية ٢/ ٢١١-٢١٤ بتصرف.

والمشهور من مذهب أحمد وعامة أئمة السنة تكفير الجهمية، فإن قولهم صريح في مناقضة ما جاءت به الرسل من الكتاب، وحقيقة قولهم جحود الصانع [١].

قال ابن القيم:

فهم بذا جهمية أهل اعتزا ... ل ثوبهم أضحى له علمان
ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي[٢] الإمام حكاه عنـ ... هم بل حكاه قبله الطبراني[٣][٤]

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٨٥ .

(٢) في شرح أصول الاعتقاد ٢/ ٣١٣ وما بعدها. واللالكائي هو: هبة الله بن الحسن بن منصور الإمام أبو القاسم الشافعي الطبري توفي سنة ٤١٨هـ. ينظر: السير ١٧/ ٤١٩، وتاريخ بغداد ١٤/ ٧٠، والعبر ٣/ ١٣٠، والشذرات ٣/ ٢١١ .

(٣) هو سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، الإمام الحافظ المحدث أبو القاسم الطبراني، ولد سنة ٢٦٠هـ، وتوفي سنة ٣٦٠هـ. ينظر: السير ١٦/ ١١٩، وطبقات الحنابلة ٢/ ٤٩، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٩١٢، والشذرات ٣/ ٣٠. وكلامه عن الجهمية يظهر أنه في كتاب السنة، وهو مفقود .

(٤) نونية ابن القيم بشرح ابن عيسى ١/ ٢٩٠. وينظر: إجماع أهل السنة النبوية على تكفير المعطلة الجهمية. مجموع يضم رسائل للمشايخ: إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، وعبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، وسليمان بن سحمان. ص١٢٧ و٨٩ و١٠٢ .

المبحث الثاني: حلولية[١] الجهمية وبعض المتصوفة[٢] .

بيّن العلماء أن الجهمية ومن وافقهم لم يجوّزوا وصف الله بـ"أين" لأن الله عندهم في كل مكان، لا يخلو منه مكان، وأن شيئاً لا يخلو منه مكان يستحيل أن يقال: أين هو ؟ [٣].

(١) الحلول هو الاعتقاد بحلول ذات الخالق -جلّ وعلا- في كل مكان، أو في بعض الأمكنة، أو حلوله في بعض الأشخاص، أو حلول جزء من ذاته في بعضهم، على قدر استعداد مزاج الشخص ورياضته وتقبله لذلك، على حد زعمهم. فهو عندهم حلول الإله بذاته أو روحه جزءاً أو كلاً في البشر، أو بعضهم من الأنبياء والأئمة والأولياء ونحوهم، فأصبح هؤلاء آلهة بذلك. وقد انتشرت هذه العقيدة عند بعض الجهمية، وغلاة المتصوفة، وغلاة الرافضة والإسماعيلية وغيرهم. ينظر: الملل والنحل ١٧٣ و١٧٥، والتبصير في الدين١٠٨، وفتاوى ابن تيمية ١٥/ ٤٢٣-٤٢٤، وبتفصيل بحث أعده أ.د/ محمد العلي بعنوان "عقيدة الحلول: عرض ونقض".

(٢) التصوف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري، كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة، ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقاً مميزة معروفة باسم الصوفية، ويتوخى أصحابها تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله بالكشف والمشاهدة لا بالوسائل الشرعية، وظهرت في بعضهم الفلسفة ودعاوى الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، ومن أشهر رموز حلولية الصوفية الحلاج المقتول سنة ٣٠٩هـ وابن عربي ت٦٣٨هـ وابن الفارض ت٦٣٢ وابن سبعين ت٦٦٧هـ. ينظر: الموسوعة الميسرة ١/ ٢٥٣-٢٧٧، ومجموع فتاوى ابن تيمية المجلد ١١، والفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، لعبد الرحمن عبد الخالق، والمصادر العامة للتلقي عند الصوفية، لصادق سليم، ودراسات حول التصوف، لإحسان إلهي ظهير.

(٣) ينظر: الرد على الجهمية، للدارمي٤٨ وما بعدها، والنقض على المريسي ص٤٣٧و٤٥٢ و٤٥٣.

وبناءً على أصلهم هذا أنكروا أن يكون لله حد وغاية ونهاية، ووافقهم على هذا الإنكار المعتزلة[١] ومتأخرو الأشاعرة[٢] وغيرهم، وأنكرت الجهمية أن يكون الله بائناً باعتزال وبفرجة بينه وبين خلقه[٣].

والجهمية يقولون: إن الله بذاته في كل مكان، ومنهم من يقول -وهو قول بعض المتصوفة-: إن الله بذاته فوق العالم، وهو بذاته في كل مكان[٤].

وما روي من قرب الرب إلى خواص عباده وتجليه لقلوبهم؛ عند الجهمية هو مجرد ظهور الله وتجليه لقلب العبد[٥].

وبعض المتصوفة يرون رأي الجهمية في ذلك، يقول العلامة محمد رشيد رضا رحمه الله : بعض المتصوفة يقولون: إن الله قريب بذاته من كل شيء، إذ منه كل شيء إيجاداً وإمداداً، وهذا عليه السادة الصوفية، قال أحدهم في قوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ -: ذلك شأن الذات. وهذا بنصه في اليواقيت والجواهر، للشعراني[٦].

---

(١) ينظر: الأصول الخمسة ٢٢٦.

(٢) ينظر: أساس التقديس، للرازي٤٥، وإبكار الأفكار، للآمدي ٢/ ٥٢٤ .

(٣) ينظر: الإمام الدارمي ودفاعه عن عقيدة السلف، لمحمد أبو رحيم ص٢٢٦ .

(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٢/ ٢٥٩ .

(٥) المصدر السابق ٦/ ٨ .

(٦) تفسير المنار ٢/ ١٦٨ وينظر: تفسير القاسمي ١٥/ ٥٤٩١ . والشعراني هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن موسى الشعراني، أبو المواهب الشافعي الشاذلي، ويسمى الشعراوي، فقيه صوفي ولد سنة ٨٩٨هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٩٧٣هـ. ينظر: شذرات الذهب

ويقول ابن عطاء الله السكندري[١] : كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو أقرب إليك من كل شيء ؟ [٢]. وقال: ما العارف من إذا أشار وجد الحق أقرب إليه من إشارته، بل العارف من لا إشارة له، لفنائه في وجوده، وانطوائه في شهوده [٣].

وقال الشاذلي [٤]: من أطاعني في كل شيء، بهجرانه لكل شيء، أطعته في كل شيء بأن أنجلي له في كل شيء، حتى يراني أقرب إليه من كل شيء، هذه هي طريق أولي الحق، وهي طريق السالكين، وطريق كبرى، من أطاعني في كل شيء بإقباله على كل شيء لحسن إرادة مولاه في كل شيء، أطعته في كل شيء بأن أنجلي له في كل شيء حتى يراني كأني عين كل شيء[٥].

٨/ ٣٧٢، والكواكب السائرة، للغزي ٣/ ١٧٦، والكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، للمناوي ٤/ ٦٩، ومعجم المؤلفين ٢/ ٣٣٩ .

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن، تاج الدين أبو الفضل وأبو العباس المالكي الشاذلي الصوفي الاسكندري. توفي سنة ٧٠٩هـ بالقاهرة. ينظر: طبقات السبكي ٩/ ٢٣، والوافي بالوفيات ٨/ ٥٧، والدرر الكامنة ١/ ٢٩١، والشذرات ٨/ ٣٦ .

(٢) حكم ابن عطاء الله بشرح الشرنوبي ص٨٢ .

(٣) حكم ابن عطاء الله بشرح الشرنوبي ص١٣١ . وينظر: ص١٨٢ و٢١٢.

(٤) هو عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي أبو الحسن الصوفي، شيخ الطائفة الشاذلية، يصفه كثير من الصوفية بأنه قطب الزمان. توفي سنة ٦٥٦هـ. ينظر: الطبقات الكبرى، للشعراني ٢/ ٤ .

(٥) ينظر: لطائف المنن، للسكندري ص٨٩، وينظر من كتب الصوفية: الفتوحات المكية، لابن عربي ٤/ ٢٦٥، وشفاء الفؤاد، لمحمد علوي المالكي ١٢٠ .

قال العلامة مرعي الكرمي[١] -حاكياً قول الحلولية في القرب-: انقسم أهل هذا القول إلى قسمين: قسم يقولون: إنه تعالى حال بذاته المقدسة في كل شيء، قال ابن تيمية[٢]: وهذا القول يحكيه أهل السنة والسلف عن قدماء الجهمية، وكانوا يكفرونهم بذلك.

وقسم يقولون: إنه تعالى مع كل أحد بذاته، ومع كل شيء، لكن معية تليق به، وهذا المذهب هو قول كثير من متأخري الصوفية. واحتجوا بأنه تعالى فوق عرشه إلى مالا نهاية له، وما دون العرش ومع كل شيء، معيةً تليق به، فكأنما أنه ليس كمثله شيء في ذاته؛ ليس كمثله شيء في صفاته، فليست معيته وقربه كمعية أحد منا وقربه. قالوا: فلسنا معطلين؛ لأن تعظيمنا أبلغ من تعظيمهم، ومن قال: إن الله تعالى عند كل الجهات، وإن لم يكن فيها، ومع كل شيء وإن لم يكن في شيء، لا بالحلول ولا بالمجاورة ودليله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ فلا تعطيل معه ولا تجسيم. ثم قال الشيخ مرعي: ورأيت بعض أكابر مشايخهم صرّح في تصنيف له: أنه لا تخلو ذرة من ذرات العالم من ذات الباري، تقدّس وتعالى.

وهذا الشيء ينفر منه الطبع والشرع[٣].

---

(١) هو مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف بن أحمد، زين الدين الكرمي المقدسي الحنبلي. توفي سنة ١٠٣٣هـ. ينظر: خلاصة الأثر، للمحبي ٤/ ٣٥٨، ومختصر طبقات الحنابلة، لابن الشطي ٩٩، والنعت الأكمل، للغزي ١٨٩ .

(٢) مجموع الفتاوى ٢/ ١٤٠ و١٧٢ و١٩٥ و٢٩٨ و٤٦٦ و٦/ ٤٦٩ .

(٣) أقاويل الثقات ص٩٦-٩٧ .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية –حاكياً كلام بعض المتصوفة في القرب وأن فيه قطعة كبيرة من الحلول العام- : قال أبو طالب[١] عن الله ﷻ : إنه أمام كل شيء، ووراء كل شيء، وفوق كل شيء، ومع كل شيء، وأقرب إلى كل شيء من ذلك، ثم تكلم عن فضل شهادة التوحيد، ووصف توحيد الموقنين فقال: فشهادة الموقن يقينه أن الله هو الأول من كل شيء، وأقرب من كل شيء، فهو المعطي المانع،.. ويشهد قرب الله منه، ونظره إليه.. ويعلم أن الله أقرب إلى القلب من وريده،وأقرب إلى الروح من حياته، وأقرب إلى البصر من نظره، وأقرب إلى اللسان من ريقه... وأن قربه من الثرى ومن كل شيء كقربه من العرش.. إلى أن قال: وإن الله لا يحجبه شيء عن شيء، ولا يبعد عليه شيء، قريب من كل شيء بوصفه [٢].

وكذلك قال أبو حامد الغزالي[٣] موافقاً لأبي طالب المكي في بعض ما قال [٤].

---

(١) هو محمد بن علي بن عطية، الزاهد شيخ الصوفية، أبو طالب المكي، مكي المنشأ، يروي عن أبي بكر الآجري، كانت له رياضات وجوع بحيث إنه ترك الطعام حتى اخضر لونه. توفي سنة ٣٨٦هـ. ينظر: السير ١٦/ ٥٣٦، وتاريخ بغداد ٣/ ٨٩، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٠٣، والشذرات ٣/ ١٢٠.

(٢) شرح حديث النزول ص١١٥-١١٦ .

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد، الشيخ حجة الإسلام، أبو حامد الغزالي، صاحب التصانيف، ولد سنة ٤٥٠هـ ودخل في كثير من علوم الفلاسفة والباطنية، وفي تواليفه كلام خطير، وكان خاتمة أمره الإقبال على طلب الحديث ومطالعة الصحيحين، توفي سنة ٥٠٥هـ. ينظر: السير ١٩/ ٣٢٢، والمنتظم ٩/ ١٦٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٢١٦، طبقات السبكي ٦/ ١٩١، والشذرات ٤/ ١٠ .

(٤) شرح حديث النزول ص١٢٨. وينظر في حكاية مذهبهم: التعاريف ١/ ٥٧٩، نقض التأسيس ٢/ ق١٩٣ .

وقد بيّن العلماء والأئمة أن الحلولية يحتجون على مذهبهم بنصوص المعية والقرب، وكل نص يحتجون به، فهو حجة عليهم[١].

وبشكل أدق يستدلون بقوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾، وقوله:﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ كما قرر ذلك الشيخ مرعي الكرمي[٢]. وبحديث القرب: " إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً بصيراً قريباً.." كما قرر ذلك الإمام الدارمي [٣].

ويستدلون بالعقل، بقولهم: ألا ترى أن من صعد الجبل لا يقال: إنه أقرب إلى الله تعالى [٤].

الرد على الحلولية في صفة القرب .

قبل الكلام على نقض آراء الحلولية وما استدلوا به، ينبغي أن نبين – من باب العدل والإنصاف – أن هذه العقيدة الفاسدة في القرب، هي عند بعض متأخري المتصوفة، بينما بعض الصوفية على المعتقد الصحيح في هذه الصفة، فيما يتعلق بعلو الله واستوائه على عرشه، ومباينته لخلقه، وعموم علمه بهم .

ولنذكر طرفاً من أقوال بعض شيوخ الصوفية في تقرير ذلك :

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ٢٢٨ .
(٢) أقاويل الثقات ص١٠٥ .
(٣) النقض على المريسي ص٤٣٨ .
(٤) النقض على المريسي ص٢٩٠ .

* قال الشيخ أبو نعيم الأصبهاني(١) -في عقيدته بعد إثبات نزول الله-: وإن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل.. وأنه سبحانه بائن من خلقه، وخلقه بائنون منه بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة، ثم ذكر أن السلف أجمعوا على ذلك (٢).

* وقال الشيخ أبو إسماعيل الأنصاري(٣) : إن الله استوى على العرش بذاته، وقرر علو الله في ذلك قال: ولم تزل أئمة السلف تصرح بذلك(٤).

* وقال الشيخ يحيى الرازي(٥): الله تعالى على العرش بائن من الخلق، قد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، ولا يشك في هذه المقالة إلا جهمي رديء ضليل وهالك مرتاب، يمزج الله بخلقه، ويخلط الذات بالأقذار والأنتان (٦).

---

(١) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى، الإمام أبو نعيم الأصبهاني الصوفي صاحب الحلية، ولد سنة ٣٣٦هـ. وكان أبوه من كبار المحدثين، وتوفي سنة ٤٣٠هـ. ينظر: السير ١٧/ ٤٥٣، ووفيات الأعيان ١/ ٩١، وطبقات السبكي ٤/ ١٨، والشذرات ٣/ ٢٤٥.

(٢) ينظر: مختصر العلو ٢٦١، واجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٧٩، ومجموع الفتاوى ٥/ ٦٠ و١٩٠ .

(٣) هو عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد، الإمام القدوة، أبو إسماعيل الأنصاري الهروي صاحب "ذم الكلام". من ذرية أبي أيوب الأنصاري. ولد سنة ٣٩٦هـ وتوفي سنة ٤٨١هـ. ينظر: السير ١٨/ ٥٠٣، وطبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٧، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٨٣، والشذرات ٣/ ٣٦٥.

(٤) ينظر: مختصر العلو ٢٧٨، واجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٧٩ .

(٥) هو يحيى بن معاذ الرازي الواعظ، أبو زكريا له كلام جيد ومواعظ مشهورة، توفي سنة ٢٥٨هـ. ينظر: السير ١٣/ ١٥، والحلية ١٠/ ٥١، وتاريخ بغداد ١٤/ ٢٠٨، والشذرات ٢/ ١٣٨.

(٦) ينظر: مجموع الفتاوى ٥/ ٢٤٩، واجتماع الجيوش الإسلامية ٢٧٠ .

* وقال إمام الطائفة الجنيد[١] – عندما سُئل عن صفة القرب لله –: بعيد بلا اقتراب، قريب بلا التزاق[٢].

أما الرد على الحلولية فيما يتعلق بصفة القرب؛ فيمكن بيانه في الآتي:

١ – أن ما نطق به الكتاب والسنة من قرب الرب من عابديه وداعيه مقيد مخصوص، لا مطلق عام لجميع الخلق، فبطل قول الحلولية[٣].

فمن يظن أن المراد بالقرب في: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ قرب ذات الرب من حبل الوريد، أو أن ذاته أقرب إلى الميت من أهله؛ فهذا في غاية الضعف، وذلك أن الذين يقولون: إنه في كل مكان، أو أنه قريب من كل شيء بذاته، لا يخصون بذلك شيئاً دون شيء، ولا يمكن مسلماً أن يقول: إن الله قريب من الميت دون أهله، ولا إنه قريب من حبل الوريد دون سائر الأعضاء.

وكيف يصح هذا الكلام على أصلهم، وهو عندهم في جميع بدن الإنسان، أو قريب من جميع بدن الإنسان، أو هو في أهل الميت كما هو في الميت، فكيف يقول: ونحن أقرب إليه منكم، إذا كان معه ومعهم على وجه واحد؟ وهل يكون أقرب إلى نفسه من نفسه؟ وسياق الآية –كما

(١) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد، سيد الطائفة، أبو القاسم البغدادي القواريري، ولد سنة نيف وعشرين ومائتين، وكان يقول: علمنا –يعني التصوف– مشبك بحديث رسول الله ﷺ. توفي سنة ٢٩٨هـ. ينظر: السير ١٤/ ٦٦، والحلية ١٠/ ٢٥٥، وتاريخ بغداد ٧/ ٢٤١، والشذرات ٢/ ٢٢٨.
(٢) ينظر: الطبقات الكبرى، للشعراني ١/ ٧٢.
(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ٢٤٧ و٢٤٠.

تقدم- يدل على أن المراد الملائكة. ومعلوم أنه لو كان المراد قرب ذات الرب لم يختص ذلك بهذه الحال، ولم يكن لذكر القعيدين والرقيب والعتيد معنى مناسب.

وكذلك قوله في الآية الأخرى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ [١]، فلو أراد قرب ذاته لم يخص ذلك بهذه الحال، ولا قال: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾؛ فإن هذا إنما يقال إذا كان هناك من يجوز أن يبصر في بعض الأحوال ولكن نحن لا نبصره، والرب تعالى لا يراه في هذه الحال، لا الملائكة ولا البشر.

وأيضاً فإنه قال: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ فأخبر عمّن هو أقرب إلى المحتضر من الناس الذين عنده في هذه الحال. وذات الرب -سبحانه وتعالى- إذا قيل: هي في مكان، أو قيل: قريبة من كل موجود، لا يختص بهذا الزمان والمكان والأحوال، ولا يكون أقرب إلى شيء من شيء [٢].

وقريب من هذا من يفسر المعية الواردة في النصوص بالحلول، فمن فهم من معية الله العامة أنه حال في جميع خلقه، أو موجود بكل مكان -كما يقول الحلولية- فهذا من أبطل الباطل من وجوه:

١) أنه ليس في ظاهر اللفظ ولا حقيقته أنه سبحانه مختلط بالمخلوقات ممتزج بها، ولا تدل لفظة "مع" على هذا بوجه من الوجوه،

---

(١) سورة الواقعة ٨٣-٨٥.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى ٥/ ٥٠٥-٥٠٦.

فهي تختلف باختلاف متعلقاتها ومصحوبها، والمتأمل لنصوص القرآن يدرك هذا، قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ (١)، وقال: ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ (٢)، وقال: ﴿ لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾ (٣)، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (٤)، وقال: ﴿ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٥) وأضعاف ذلك، فهل يقتضي موضع واحد منها مخالطة في الذوات والتصاقاً وامتزاجاً؟ حتى يقال: إن حقيقة المعية في حق الرب تعالى تقتضي ذلك ؟ (٦).

٢) أن لفظ المعية ورد عاماً وخاصاً، فلو كان المراد أنه بذاته مع كل شيء لكان التعميم يناقض التخصيص (٧).

---

(١) سورة الفتح ٢٩.
(٢) سورة الحديد ١٤.
(٣) سورة التوبة ٨٣.
(٤) سورة التوبة ١١٩.
(٥) سورة الأعراف ١٥٠.
(٦) مختصر الصواعق ٢/ ٢٦٥.
(٧) شرح النزول ١٢٧ .

٣) أن الله –سبحانه وتعالى– أخبر أنه مع خلقه مع كونه مستوياً على عرشه، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1]، فأخبر أنه خلق السموات والأرض، وأنه استوى على عرشه، وأنه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه[2].

وأما ما استدل به الحلولية على بدعتهم فقد تقدم بيان آيات المعية وأنها لا تقتضي الحلول والمخالطة، وأما القرب الوارد في الآيتين، فقد عرض الإمام ابن القيم بدعة الحلولية في ذلك وتمسكهم بهذه النصوص، قال: وأما ما ذكرتم من القرب، فإن أردتم عموم قربه إلى كل لسان من نطقه، وإلى كل قلب من قصده، فهذا لو صح لكان قرب قدرة وعلم وإحاطة لا قرباً بالذات والوجود، فإنه سبحانه لا يمازج خلقه، ولا يخالطهم، ولا يتحد بهم، مع أن هذا المعنى لم يرد عن الله ورسوله، ولا عن أحد من السلف الأخيار تسميته قرباً. وإن أردتم القرب الخاص إلى اللسان والقلب، فهذا قرب المحبة وقرب الرضى والأنس، كقرب العبد من ربه، وهو ساجد، وهو نوع آخر من القرب، لا مثيل له ولا نظير، فإن الروح والقلب يقربان من الله، وهو على عرشه، والروح والقلب في البدن، وهذا القرب لا ينافي القصد والطلب، بل هو مشروط بالقصد، فيستحيل

---

(١) سورة الحديد ٤ .

(٢) ينظر: علو الله على خلقه د. موسى الدويش ص٢٦١ .

وجوده بدونه، وكلما كان الطلب والقصد أتم، كان هذا القرب أقوى. ثم قال: فإن قيل: فكيف تصنعون بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[1] ؟ قيل: هذه الآية فيها قولان للناس: أحدهما: أنه قرب بعلمه، ولهذا قرنه بعلمه بوسوسة نفس الإنسان، والقول الثاني: أنه قربه من العبد بملائكته الذين يصلون إلى قلبه، فيكون أقرب إليه من ذلك العرق. اختاره شيخنا[2].

وأما الحديث فقد تقدم شرحه والتفصيل فيه، وبيان أنه قرب حقيقي خاص لله تعالى لبعض عباده على ما يليق به، ولا يقتضي ذلك الممازجة والمخالطة والحلول.

وبعض العلماء يفسرون القرب في الحديث بالعلم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وطائفة من أهل السنة تفسر القرب في الآية[3]، والحديث بالعلم، لكونه هو المقصود، فإنه إذا كان يعلم ويسمع دعاء الداعي حصل مقصوده، وهذا هو الذي اقتضى أن يقول من يقول: إنه قريب من كل شيء بمعنى العلم والقدرة، فإن هذا قد قاله بعض السلف، كما تقدم عن مقاتل، وكثير من الخلف، ولكن لم يقل أحد منهم: إن نفس ذاته قريب من كل موجود، وهذا المعنى يقر به جميع المسلمين؛ ممّن يقول: إنه فوق العرش[4].

---

(١) سورة ق١٦.
(٢) مدارج السالكين ٢/ ٢٨٩-٢٩٠ وشيخه هو شيخ الإسلام ابن تيمية وتقدم بيان كلامه في هذه المسألة والتفصيل فيها، ينظر: ص٤١-٤٦.
(٣) يعني قوله تعالى: {وإذا سَألكَ عِبادي عنّي فإنِّي قريبٌ}.
(٤) شرح حديث النزول ص١٢٦.

" وإنما فسر بعض أهل العلم القرب بالعلم رداً على الحلولية الذين فسروا القرب بحلول الله بذاته في عباده، ومن ثم استدلوا بنصوص القرب على عقيدتهم الحلولية الباطلة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -بعد أن ذكر تفسير بعض العلماء للقرب بالعلم- : وهؤلاء كلهم مقصودهم أنه ليس المراد أن ذات الباري -جلّ وعلا- قريبة من وريد العبد ومن الميت، ولما ظنوا أن المراد قربه وحده دون قرب الملائكة فسروا ذلك بالعلم والقدرة، كما في لفظ المعية. ولا حاجة إلى هذا "[1].

وأما شبهة الحلولية العقلية فقد عرضها الإمام الدارمي، ونقضها، قال: فيقال لهذا المعارض المدعي مالا علم له : من أنبأك أن رأس الجبل ليس بأقرب إلى الله من أسفله؛ لأنه من آمن بأن الله فوق عرشه فوق سمواته، علم يقيناً أن رأس الجبل أقرب إلى الله من أسفله، وأن السماء السابعة أقرب إلى عرش الله من السادسة، والسادسة أقرب إليه من الخامسة، ثم كذلك إلى الأرض. ثم ساق قول ابن المبارك[2] : رأس المنارة أقرب إلى الله من أسفلها، ثم قال: وصدق ابن المبارك؛ لأن كل ما كان إلى السماء أقرب، كان إلى الله أقرب، وقرب الله إلى جميع خلقه أقصاهم وأدناهم واحد، لا يبعد عنه شيء من خلقه، وبعض الخلق أقرب إليه من بعض، على نحو ما

---

(١) فتاوى ابن تيمية ٥/ ٢٠٥ وما بين علامتي تنصيص من كلام أ.د/ محمد العلي في بحثه: الأدلة النقلية التي استدل بها أصحاب الحلول. عرضها ونقض استدلالهم بها ص٣٣-٣٤.

(٢) هو عبد الله بن المبارك بن واضح، الإمام عالم زمانه، أبو عبد الرحمن الحنظلي، ولد سنة ١١٨هـ وتوفي سنة ١٨١هـ. ينظر: السير ٨/ ٣٣٦، والحلية ٨/ ١٦٢، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٥٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٢، والشذرات ١/ ٢٩٥.

فسرنا من أمر السموات والأرض، وكذلك قرب الملائكة من الله، فحملة العرش أقرب إليه من جميع الملائكة الذين في السموات كلها، والعرش أقرب إليه من السماء السابعة، وقرب الله إلى جميع ذلك واحد، هذا معقول مفهوم إلا عند من لا يؤمن بأن فوق العرش إلهاً(١).

٢- أفضى هذا القول الساقط عند بعض المتصوفة إلى القول بإسقاط التكاليف الشرعية؛ فيزعم بعضهم سقوط التكليف عمن سما في درجة القرب من الله ﷻ، فلا صلاة عليه ولا زكاة ولا غيرهما من أوامر الله ﷻ، بل ويرون له استباحة المحرمات من الزنى والخمر وغيرهما مما حرمه الله ﷻ.

قال ابن القيم: وقد صرّح أهل الاستقامة وأئمة الطريق بكفر هؤلاء، فأخرجوهم من الإسلام، وقالوا: لو وصل العبد من القرب إلى الله أعلى مقام يناله العبد، لما سقط عنه من التكاليف مثقال ذرة(٢). وقال: وليس الأمر كما ظنّه بعض الملاحدة المنتسبين إلى الطريق حيث قال: القرب الحقيقي تنقّل العبد من الأحوال الظاهرة إلى الأعمال الباطنة، ويريح الجسد والجوارح من كدّ العمل. وهؤلاء أعظم كفراً وإلحاداً، حيث عطلوا العبودية، وظنّوا أنهم استغنوا عنها بما حصل لهم من الخيالات الباطلة وخدع الشيطان(٣).

(١) النقض على المريسي ص٢٩٠-٢٩١.
(٢) مدارج السالكين ٣/ ١١٨.
(٣) مدارج السالكين ٣/ ١١٨.

ثم بيّن ابن القيم -رحمه الله- أنه على المرء المسلم أن يكون أكثر عبادة والتزاماً في القيام بأوامر الله، والكف عن نواهيه، كلّما ترقى في درجات القرب من الله، قال: العبد كلما كان إلى الله أقرب كان جهاده في الله أعظم، وتأمل أحوال رسول الله ﷺ وأصحابه، فإنهم كانوا كلما ترقوا من القرب في مقام عظُم جهادهم واجتهادهم (١).

ويبقى أن نعلق على قضية لها علاقة مما سبق، وهي أنه مما يدخل في معاني القرب -وليس في الطوائف من ينكره- القرب المعروف والمعهود إلى قلوب العارفين والعابدين، فإن كل من أحب شيئاً فإنه لابد أن يعرفه ويقرب من قلبه، والذي يبغضه يبعد من قلبه، لكن هذا ليس المراد به أن ذاته نفسها تحل في قلوب العارفين العابدين، وإنما في القلوب معرفته وعبادته ومحبته والإيمان به، ولكن العلم يطابق المعلوم، وهذا الإيمان الذي في القلوب هو المثل الأعلى الذي له في السموات والأرض، وهو قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ﴾ (٢)، وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (٣)، وقد غلط في هذا طائفة من الصوفية والفلاسفة وغيرهم، فجعلوه حلول الذات اتحادها بالعابد والعارف، من جنس قول النصارى في المسيح، وهو قول باطل (٤).

(١) مدارج السالكين ٣/ ١١٨ وينظر: موقف ابن القيم من بعض الفرق بمقدمة اجتماع الجيوش الإسلامية، للدكتور عواد المعتق ص١٤٢-١٤٣.
(٢) سورة الزخرف ٨٤.
(٣) سورة الأنعام ٣ .
(٤) شرح حديث النزول ص٩٩، ومجموع الفتاوى ٥/ ٤٦٥ و٦/ ٨ .

قال شيخ الإسلام – بعد حكايته قول المكي وقد سبق ذكره - : وهذا الذي ذكره من قربه وإطلاقه وأنه لا يتجلى بوصف مرتين، ولا يظهر في صورة لاثنين؛ هو حكم ما يظهر لبعض السالكين من قربه إلى قلوبهم وتجليه لقلوبهم، لا أن هذا هو وصفه في نفس الأمر، وأنه كما تحصل هذه التجليات المختلفة، تحصل يوم القيامة للعيون.

وهذا الموضع مما يقع الغلط فيه لكثير من السالكين؛ يشهدون أشياء بقلوبهم، فيظنون أنها موجودة في الخارج هكذا، حتى إن فيهم خلقاً من هم على المتقدمين والمتأخرين، يظنون أنهم يرون الله بعيونهم، لما يغلب على قلوبهم من المعرفة والذكر والمحبة، ويغيب بشهوده فيها غيبة حصل لقلوبهم، ويحصل لهم فناء واصطلام[1]، فيظنون أن هذا هو أمر مشهود

(١) الفناء عند الصوفية له عدة معان، منها: سقوط الأوصاف المذمومة، كما أن البقاء وجود الأوصاف المحمودة، ومنها: أنه تبديل الصفات البشرية بالصِفات الإلهية، أو هو عدم شعور الشخص بنفسه أو بلوازم نفسه، وهو درجتان: فناء عن شهود ما سوى الله، فيفنى بمعبوده عن عبادته، وبمعروفه عن معرفته، بحيث يغيب عن شعوره بنفسه وبما سوى الله، والدرجة الثانية: فناء عن وجود السوى بحيث يرى أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق، بحيث يرى أنه ليس في الوجود إلا الله، وهناك فناء شرعي، وهو الفناء عن عبادة غير الله بعبادته وحده . ينظر: التعريفات ص٩٠، والتدمرية ١٨٧ و٢٢١-٢٢٢.

وأما الاصطلام فهو عند الصوفية: الفناء عن شهود السوى، وهو الذي يعرض لكثير من السالكين كما يحكى عن أبي يزيد وأمثاله، وهو أن يغيب بموجوده عن وجوده، وبمعبوده عن عبادته، وبمشهوده عن شهادته، وبمذكوره عن ذكره، فيفنى من لم يكن، ويبقى من لم يزل، وهذا كما يحكى أن رجلاً كان يحب آخر، فألقى المحبوب نفسه في الماء، فألقى المحب نفسه خلفه، فقال: أنا وقعت، فلم وقعت أنت ؟ فقال: غبت بك عني، فظننت أنك أني. ينظر: مجموع الفتاوى ٢/ ٣١٣ و٣٦٨ و٨/ ٣١٠ و١٩/ ٢٧٧، ومدارك السالكين ٢/ ٢٨٨، والتعاريف ٦٨.

بعيونهم، ولا يكون ذلك إلا في القلب، ولهذا ظنّ كثير منهم أنـه يـرى الله بعينه في الدنيا. وهذا مما وقع لجماعة من المتقدمين والمتأخرين، وهـو غلـط محض[١].

(١) شرح حديث النزول ص١١٨ وينظر: مجموع الفتاوى ٥/ ٤٩٢-٤٩٣ و٢٤٩.

المبحث الثالث :

الأشاعرة[١] والماتريدية[٢] والكلابية[٣] والفلاسفة[٤] وغيرهم[٥] .

(١) فرقة كلامية ينتسب أصحابها لأبي الحسن الأشعري ت٣٢٤هـ. وهم يقولون بإثبات سبع صفات فقط، وهي: العلم، والحياة، والكلام، والسمع، والبصر، والقدرة، والإرادة، ويؤولون ما عداها، ويقولون بعدم حجية أخبار الآحاد في العقيدة، ويقولون بالإرجاء في مسائل الإيمان، وبعضهم يميل إلى الجبر، ويسمونه الكسب، ولهم بدع أخرى. ينظر فيهم: موقف ابن تيمية من الأشاعرة د/ عبد الرحمن المحمود، ومنهج الأشاعرة في العقيدة، لسفر الحوالي، ومنهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة في توحيد العبادة، لخالد نور. الموسوعة الميسرة ١/ ٨٧-٩٨ .

(٢) فرقة كلامية منسوبة إلى أبي منصور الماتريدي ت٣٣٣هـ، يضطربون في نصوص الصفات بين التفويض والتأويل، ويرون عدم حجية خبر الآحاد، وأثبتوا الصفات السبع، وزادوا عليها صفة التكوين، ويقولون بالتحسين والتقبيح العقلي، ووقوع المجاز في اللغة والقرآن والحديث. ووافقوا أهل السنة في السمعيات عدا القول بالرؤية في الآخرة ، فقد وافقوا الأشاعرة في إثباتها ونفي الجهة والمقابلة. ينظر: منهج الماتريدية في العقيدة د/ محمد الخميس، والماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات، للشمس الأفغاني، والماتريدية، دراسة وتقويم، لأحمد الحربي، والموسوعة الميسرة ١/ ٩٩-١١٠ .

(٣) فرقة كلامية منسوبة إلى عبد الله بن سعيد بن كلاب ت٢٤٠، وقيل ٢٤١هـ من المشهورين بالردود على المعتزلة، يثبت الأسماء والصفات، ولكن ينفى ما يتعلق منها بمشيئة الله وإرادته بناءً على نفي حلول الحوادث بذات الله. ويثبت الرؤية لله كما أثبتها أهل السنة. ينظر فيهم: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، للمحمود ١/ ٤٤٢، ودرء التعارض ٦/ ١٩٣، ونشأة الفكر الفلسفي، للنشار ١/ ٢١٧.

(٤) الفلسفة في الأصل كلمة يونانية مركبة من كلمتين فيلا بمعنى الإيثار والمحبة، وسوفيا بمعنى: الحكمة، فالفيلسوف مؤثر للحكمة. وأطلقت الفلسفة قديماً على تفسير المعرفة تفسيراً عقلياً، وكانت الغاية منها عند أصحابها البحث عن الحقيقة عن طريق النظر العقلي المتحرر من كل قيد وسلطة، وهي بهذا المعنى من أخطر الطواغيت المحاربة للإيمان والأديان، وقد دخلت الفلسفة للعالم الإسلامي عن طريق ترجمة كتب اليونان في عصر الخليفة العباسي المأمون، ومذهبهم أن الله موجود لا حقيقة له ولا ماهية، ولا يعلم الجزيئات، ولا يؤمنون بأن الله يتكلم، وينكرون الملائكة واليوم الآخر. ينظر: إغاثة اللهفان لابن القيم ٢/ ٣٧٣، الموسوعة الميسرة ٢/ ١١١٨-١١٢١، وشرح الطحاوية ص٤٠٢ .

(٥) وأباضية الخوارج على مذهب الأشاعرة في تأويل القرب بالرحمة. ينظر: تفسير هميان الزاد، لأطفيش ١٢/ ٨٠، والخوارج د/ ناصر العقل ص٩٠. وأحال الشيخ -حفظه الله- إلى مجموعة من كتب الأباضية.

يرى الأشاعرة أن وصف الله بالقرب يقتضي قطع المسافات، وتداني الأجسام بزعمهم، وذلك في حقه تعالى محال، فيتعين حمله على المجاز، ويكون تأويله: الإثابة، أو قرب الرتبة والكرامة[١]. ويقررون أن ما ورد من نصوص القرب فهو استعارة ومجاز[٢]. فقرب الله يؤول -عندهم- باللطف والعرفان والرضوان والامتنان[٣] والإنعام والإفضال والرحمة[٤].

قال التهانوي[٥]: قال الراغب[٦]: قرب الله من العبد هو الإفضال عليه والفيض، لا بالمكان[٧].

وقال القاضي عياض[٨]: إضافة القرب إلى الله تأنيس للنبي ﷺ وإكرام

(١) ينظر: فتح الباري، لابن حجر ١٣/ ٥١٣-٥١٤ و٣٧٤-٣٧٥، وشرح الكرماني للبخاري ٢٥/ ٢٢٨، وعمدة القاري، للعيني ٢٥/ ١٨٩ .

(٢) عمدة القاري ٢٥/ ٩٢، وشرح الكرماني ٢٥/ ١٨، وإكمال المعلم ٨/ ٢٠١، وشرح مسلم للنووي ٩/ ٢٧/ ٢٨.

(٣) الفتح ١١/ ٣٤٣ .

(٤) تفسير القرطبي ١/ ٣٠٨، وتفسير ابن عاشور ١٢/ ١٠٩، وتفسير البيضاوي ١/ ١٠٦ و٤٦١، والأسماء والصفات، للبيهقي ٢/ ٣٥٣ و٣٨٤ .

(٥) هو محمد بن علي بن محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي، عالم لغوي من الهند. كان حياً سنة ١١٥٨هـ. ينظر: معجم المؤلفين ٣/ ٥٣٧، والأعلام ٧/ ١٨٨، وهدية العارفين ٢/ ٣٢٦.

(٦) هو الحسين بن محمد بن المفضل، الشيخ الراغب الأصفهاني، صاحب التصانيف. توفي سنة نيف وخمسمائة وقيل ٤٥٢ . ينظر: السير ١٨/ ١٢٠، وبغية الوعاة، للسيوطي ٢/ ٢٩٧، والأعلام ٢/ ٢٥٥ .

(٧) المفردات ص٤٠٨، وكشاف اصطلاحات الفنون ٥٧٩ .

(٨) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو، الشيخ العلامة القاضي، أبو الفضل الأندلسي المالكي، ولد سنة ٤٧٦هـ وتوفي سنة ٥٤٤هـ. ينظر: السير ٢٠/ ٢١٢، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٠٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٨٣، والشذرات ٤/ ١٣٨ .

له، وبيان عظم المنزلة عند الله [١].

ويقول الغرناطي: وقيل: إنها لله تعالى –يعني إضافة الدنو إلى الله في آية النجم–، وهذا القول يرد عليه الحديث والعقل؛ إذ يجب تنزيه الله تعالى عن تلك الأوصاف من الدنو والتدلي وغير ذلك [٢].

وقال الرازي[٣] –في بيان الأقوال في الدنو في آية النجم– : الثالث: وهو ضعيف سخيف، وهو أن المراد منه هو ربه تعالى، وهو مذهب القائلين بالجهة والمكان، اللهم إلا أن يريد القرب بالمنزلة، وعلى هذا يكون فيه ما في قوله ﷺ حكاية عن ربه تعالى: " من تقرب إليّ شبراً تقرّبت إليه ذراعاً، ومن تقرّب إليّ ذراعاً تقرّبت إليه باعاً.." إشارة إلى المعنى المجازي، وههنا لما بيّن أن النبي ﷺ استوى وعلا في المنزلة العقلية لا في المكان الحسي [٤].

(١) الشفاء بشرح القاري ٢/ ٥٠٠، ونقله الحافظ في الفتح ١٣/ ٤٨٤. ويعني –رحمه الله– ما ورد من الدنو والقرب في ليلة المعراج.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/ ١٣٦ .

(٣) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التيمي، الشيخ العلامة، أبو عبد الله المعروف بالفخر الرازي، عالم من كبار علماء الأشاعرة، ولد سنة ٥٤٣هـ وتوفي سنة ٦٠٦هـ. ينظر: وفيات الأعيان ١/ ٦٠٠، وطبقات السبكي ٥/ ٣٥، والوافي بالوفيات، للصفدي ٤/ ٢٤٨، والشذرات ٥/ ٢١.

(٤) تفسير الرازي ٢٨/ ٢٨٦ .

ويؤول القرطبي قول ابن عباس -رضي الله عنهما-: دنا سبحانه، بأنه دنا أمره وحكمه[١]. ويؤول ابن الجوزي القرب بقرب الرحمة واللطف[٢].

وأما الماتريدية؛ فهم ينفون صفة القرب لله ﷻ، ويقولون: القرب يقع من العبد لا من الله، وهو من قبيل المتشابه[٣]. ويقررون أن القرب يقتضي المكان، والقرب والمجيء والنزول من صفات المخلوقين، وهي مستلزمة للمكان، فلا يجوز وصف الله بها[٤].

وأما الكلابية[٥]؛ فهم ينكرون صفة القرب، مثل من يقول: لا تقوم الأمور الاختيارية به[٦].

وقد جاء ابن كلاب بعد خروج الجهمية والمعتزلة وإنكارهم الصفات، فخالفهم في ذلك، وأثبت الصفات والعلو على العرش، لكن وافقهم على

---

(١) ذكره الحافظ في الفتح ١٣/ ٤٧٤.

(٢) دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ص١٨٥-١٨٦ و٢٣٣ و٢٤٦. وينظر من كتب الأشاعرة: مشكل الحديث، لابن فورك٥٦، وعمدة الحفاظ، لابن السمين ٣/ ٢٠٩٦، والتفسير الكبير، للرازي ٥/ ٢٠٥، وشرح سنن النسائي، للسيوطي ٢/ ٢٢٦-٢٢٧، وروح البيان، للبرسوي ١/ ٢٩٦، وحاشية السندي على النسائي ٢/ ٢٢٦ .

(٣) شرح الفقه الأكبر، للماتريدي ص٦٨ .

(٤) تأويلات أهل السنة، للماتريدي ص٣٧٧، بحر الكلام، للنسفي ص١١٠.

(٥) لابن كلاب بعض المؤلفات، مثل كتاب الصفات، وخلق الأفعال، والرد على المعتزلة، كما في السير ١١/ ١٧٦ والفهرست، لابن النديم ٢٣٠، ولم يصل إلينا شيء من هذه المؤلفات، ولذلك يعتمد في بيان آرائه وأقواله على الناقلين عنه، أو عن بعض كتبه، ومن أهم المصادر في النقل عنه ما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية. ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة د/ عبد الرحمن المحمود ١/ ٤٤٢.

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/ ١٣٤ .

أنه لا تقوم به الأمور الاختيارية؛ ولهذا أحدث قوله في القرآن: إنه قـديم، لم يتكلم به بقدرته، ولا يعرف هذا القول عن أحد من السلف، بل المتواتر عنهم أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته .

فالذين يثبتون أنه كلّم موسى بمشيئته وقدرته كلاماً قائماً به، هم الذين يقولون: إنه يدنو، ويقرب من عباده بنفسه، وأما من قال: القـرآن مخلـوق أو قديم، فأصل هؤلاء أنه لا يمكن أن يقـرب مـن شيء، ولا يـدنو إليـه، فمن قال منهم بهذا مع هذا، كان من تناقضه، فإنه لم يفهم أصـل القـائلين بأنه قديم [١].

فهم وإن أثبتوا الأسماء والصفات، لكن ينفون منها مـا يتعلـق بمـشيئة الله وإرادته، بناءً على نفي حلـول الحـوادث بـذات الله تعـالى، والكلابيـة بذلك وافقوا المعتزلة على هـذا الأصـل المقـرر عنـدهم المبنـي عـلى دليـل حدوث الأجسام، وهو أن من قامت به الحوادث لا يخلو منها، فنفوا جميع الصفات عن الله تعالى بناءً على ذلك، أما ابن كلاب فقد خـالفهم، فأثبـت لله الصفات الذاتية والمعنوية، وجعلها أزلية، ونفـى الـصفات الاختياريـة لموافقته لهم على هذا الأصل [٢]. وأما الفلاسفة فيقررون أن قرب العبد إلى الله معناه التخلق بصفات الله، والتشبه بالإله على قدر الطاقة [٣].

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ٤٦٦-٤٦٧ وينظر: نقض التأسيس ٢/ ق١٨٢.
(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة. د/ عبد الرحمن الحمود ١/ ٤٤٥ .
(٣) مجموع الفتاوى ٦/ ٦ و٥/ ٢٤٦٥، وفتح الباري، لابن حجر ١٣/ ٥١٣ .

- **الرد على الفرق المتقدمـة .**

أما الأشاعرة فيقولون –كما تقدم– إن وصف الله بـالقرب مجـاز؛ لأنـه يقتضي المكان، ويؤولون القرب بالرحمة والعطـف والإفـضال والإنعـام، وقرب الرتبة والمنزلة.

وسيكون الرد عليهم من عدة أوجه :

أولاً: دعوى المجاز في نصوص الصفات .

" هذا الطاغوت لهج به المتأخرون، والتجأ إليه المعطلون، وجعلوه جنةً يترسون بها من سهام الراشقين، ويصدرون عن حقائق الوحي المبين "[(١)].

قال ابن القيم: ومما ينبغي أن يعلم أن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجـاز، ليس تقسيماً شرعياً، ولا عقليـاً ولا لغويـاً، فهـو اصـطلاح محـض، وهـو اصطلاح حدث بعد القرون الثلاثة المفـضلة بـالنص، وكـان منـشؤه مـن جهة المعتزلة والجهمية ومن سلك طريقهم من المتكلمين. ثم شرع –رحمـه الله– في كسر هذا الطاغوت من وجوه عديدة ماتعة[(٢)].

ولا شك أن القـول بالمجـاز في القـرآن باطـل محـدث، يقـول العلامـة الشنقيطي[(٣)] –بعد بيانه مذهب أهل السنة في الصفات– : وطريق منـاظرة

(١) من كلام ابن القيم، كما في مختصر الصواعق ص٢٧١ .
(٢) ينظر: مختصر الصواعق ص٢٧٣ وما بعدها.
(٣) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، عالم مفسر بارع، ولد سـنة ١٣٢٥هـ وتوفي سنة ١٣٩٣هـ بمكة. ينظر: الأعلام ٦/ ٤٥، ومعجم المؤلفين ٣/ ١٤٦ .

القائل بالمجاز في القرآن، هي أن يقال: لا شيء من القرآن يجوز نفيه، وكل مجاز يجوز نفيه، ينتج من الشكل الثاني: لا شيء من القرآن بمجاز، وهذه النتيجة كلية سالبة صادقة، ومقدمتا القياس الاقتراني الذي أنتجها لا شك في صحة الاحتجاج بهما؛ لأن الصغرى منه، وهي قولنا: لاشيء من القرآن يجوز نفيه، مقدمة صادقة يقيناً، لكذب نقيضها يقيناً؛ لأن نقيضها هي قوله: بعض القرآن يجوز نفيه، وهذا ضروري البطلان، والكبرى منهما، وهي قولنا: وكل مجاز يجوز نفيه صادقة بإجماع القائلين بالمجاز، ويكفينا اعترافهم بصدقها؛ لأن المقدمات الجدلية يكفي في قبولها اعتراف الخصم بصدقها، وإذا صح تسليم المقدمتين صحت النتيجة التي هي قولنا: لاشيء من القرآن بمجاز، وهو المطلوب [1].

والقول بالمجاز في الصفات مبني على توهم باطل، وهو التشبيه؛ فإن المؤولة لم يفهموا من نصوص الصفات عامة، والقرب خاصة، إلا مثل ما هي عند المخلوق، فصرفوها عن الحقيقة إلى المجاز، فشبهوا أولاً، ثم أوّلوا ثانياً، فجمعوا بين أمرين فاسدين: التشبيه، والتعطيل.

وأما أهل السنة والجماعة، فيمرّون هذه النصوص على ظاهرها، وحقيقة معناها اللائق بالله ﷻ، من غير تكييف ولا تمثيل.

(١) منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز ص٧-٨ .

" فأي مانع يمنع من القول بأنه يقرب من عبده كيف يشاء مع علـوِّه؟ وأي مانع يمنع من إتيانه كيف يشاء بدون تكييف ولا تمثيـل؟ وهـل هـذا إلا من كماله أن يكون فعالاً لما يريد على الوجه الذي يليق به؟ "[1].

ولا شك أنه ليس في نصوص القرب أي قرينة تفيد صرفه عن معناهـا الشرعي، بل إن القرب أيضاً ثبت بلفظ النـزول الـذي يـدل عـلى المعنـى نفسه، الأمر الذي يحيل وقوع المجاز في هذه الـصفة. فقـد صـح الحـديث بلفظ النزول، وجاء بلفظ الهبوط والتدلي والدنو، فهذه الألفاظ دالـة عـلى نفي المجاز في هذه الصفة، وإثبات القرب على الحقيقـة كـما يليـق بـالله ﷻ من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل.

ومما يرد به على هؤلاء المخالفين أن القـول بالمجـاز في الـصفات يرفـع الأمان والثقة باللغات، ويبطل فائـدة التخاطـب، إذ لا يـشاء الـسامع أن يخرج اللفظ عن حقيقته إلا وجد إلى ذلك سبيلاً[2].

كما أن الله ﷻ وصف نفسه بالقرب، ووصفه بالقرب أعلـم الخلـق بـه، وأنصحهم للأمـة، وأقـدرهم عـلى العبـارة التـي لا توقـع لبـساً، وتلقـى الصحابة -رضوان الله عليهم- هذه الـصفة، وبلغوهـا الأمـة، ولم يقـرن بألفاظ الأحاديث أو أقوال الصحابة ولا مرة واحدة ما يدل على المجاز في صفة القرب، بل تأتي النصوص بما يـدل عـلى إرادة الحقيقـة، فلـو كانـت

(١) من كلام العلامة ابن عثيمين في كتابه "القواعد المثلى" ص٧٤.
(٢) مختصر الصواعق ص٤٢١ .

إرادة الحقيقة باطلاً، وهي منفية، لزم القدح في علمه ﷺ أو نصحه أو بيانه(١).

كما أن القرب والمجيء والنزول من أنواع أفعاله، وهو الفعال لما يشاء، وأفعاله قائمة به كصفاته، فإن كانت هذه الأفعال مجازاً، فأفعاله كلها مجاز، ولا فعل له في الحقيقة، بل هو بمنزلة الجمادات(٢).

وأهل السنة مجمعون -كما قال الإمام ابن عبد البر- على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيّفون شيئاً من ذلك... وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج، فكلهم ينكرونها، ولا يحملون شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقرَّ بها مشبه، وهم عند من أقرَّ بها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهم أئمة الجماعة، والحمد لله(٣).

" فإن قيل: إذا منعتم المجاز في آيات الصفات، فما معنى الحقيقة فيها؟ فالجواب أن الصفات تختلف حقائقها باختلاف موصوفاتها، فللخالق -جلّ وعلا- صفات حقيقية تليق به، وللمخلوق صفات حقيقية تناسبه وتلائمه، وكل من ذلك حقيقة في محله. ومعاني صفات الله -جلَّ وعلا-

(١) مختصر الصواعق ص٤٢٣-٤٢٥، بتصرف.
(٢) مختصر الصواعق ص٤٢٨-٤٢٩ .
(٣) التمهيد ٧/ ١٤٥.

معروفة، وكيفياتها لا يعلمها إلا الله، كما قال مالك، وأم سلمة: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول.

والدليل على أن الكيف غير معقول قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾(١).

وحاصل تحرير الحق في مسألة آيات الصفات على وجه لا إشكال فيه مبني على أمرين:

الأول: الإيمان بكل ما ثبت في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة على وجه الحقيقة لا المجاز .

الثاني: نفي التشبيه والتمثيل عن كل وصف ثبت لله في كتاب أو سنة صحيحة.

فإن قيل: يلزم من إثبات صفة الوجه واليد والاستواء ونحو ذلك مشابهة الخلق؟ فالجواب: أن وصفه بذلك لا يلزمه مشابهة الخلق، كما لم يلزم من وصفه بالسمع والبصر مشابهة الحوادث التي تسمع وتبصر، بل هو تعالى متّصف بتلك الصفات المذكورة التي هي صفات كمال وجلال، من غير مشابهة للخلق ألبتة، فهي ثابتة له حقيقة على الوجه اللائق بكماله وجلاله، كما أن صفات المخلوقين ثابتة لهم حقيقة على الوجه المناسب لهم، فبين الصفة والصفة من تنافي الحقيقة مابين الذات والذات.

(١) سورة طه ١١٠ .

فإن قيل: بيّنوا كيفية الاتصاف بها لنعقلها، قلنا: أعرفتم كيفية الذات المتصفة بها؟ فلابد أن يقولوا: لا، فنقول: معرفة كيفية الصفات متوقفة على معرفة كيفية الذات، فإن قال الخصم: هو ذات، لا كالذوات، قلنا: وموصوف بصفات لا كغيرها من الصفات. فسبحان من أحاط بكل شيءٍ ولم يحط به شيء ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا** ﴾[1].

ثانياً: شبهة المكان (الجهة) .

هذه الشبهة من أشهر الشبه التي يتمسك بها المؤولة للصفات الاختيارية، ومنها القرب، فيقولون -كما تقدم بيان أقوالهم-: لو أثبتنا صفة القرب على ظاهر النصوص لأثبتنا أن الله في مكان.

ولفظ الجهة والمكان من الألفاظ المجملة، فلا تثبت ولا تنفى، حتى يتبين المراد منه، فالجهة والمكان يُراد به شيء عدمي، وهو ما فوق العالم، فنقول بهذا المعنى: إن الله فوق العالم، نرفع أيدينا إليه، ونشير إليه، وإذا سئل أحدنا: أين الله ؟ أشار بإصبعه السبابة إلى فوق، وهذا دلّت عليه الكتب المنزلة، وأقوال الأنبياء وإجماع أهل السنة والعقل الصحيح، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، والأدلة التي تدل على ذلك تزيد على ألف دليل.

(١) سورة طه١١٠. وينظر: منع جواز المجاز، للشنقيطي ص٤٣-٤٥ بتصرف .

وإنْ قالوا: الله ليس في مكان ولا جهة بهذا المعنـى، فـإن هـذا يعنـي أن الله ليس له وجود ألبتة، فإن كل موجود لابد ضرورة أن يكـون في مكـان بهذا المعنى وفي جهة، وهذا هو الفرق بين الوجود والعدم، أما قـولهم: لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فـوق ولا تحـت، ولا يمـين ولا يـسار، ولا خلف ولا أمام، ولا هو مباين للعالم، ولا هو محايث له، فقد جعلوا ربهـم عدماً محضاً لا وجود له ألبتة، تعالى الله عما يقولون علواً كبـيراً، فإنـك لـو وصفت العدم المحض، لما استطعت أن تصفه بأعظم من هذا الذي قالوه، والعجيب أنهم مع وصفهم له -سـبحانه وتعـالى- بهـذه الـسلوب؛ فهـم يقولون: هو موجود، وهذا من أبين المحالات في العقل [(١)].

وإن أرادوا بالجهة والمكان أمراً وجودياً، وأن يكون هناك شيء مخلـوق يحيط بالله تعالى، فهذا الذي ينزّه الله تعالى عنه، فإنه تعالى لا يحيط بـه شيء، بل هو أعظم من كل شيء، وأكبر مـن كـل شيء، وفـوق كـل شيء، وهـو تعالى وإن قرب من بعض عباده، لا يستلزم ذلـك أن يحـيط بـه شيء، بـل يقرب، وهو فوق عرشه باقٍ على عظمتـه وعلـوّه، بـائن مـن خلقـه، ولا يستلزم ذلك ممازجة ولا مخالطة بشيء من المخلوقات [(٢)].

وقد جـاء في الـصحيح لفـظ يقـصم ظهـور المؤولـة في صـفة القـرب والدنو، وهـو قولـه ﷺ -في حـديث الإسراء والمعـراج- : ((**حتـى جـاء**

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية ٤/ ٢١٠ و٢١٢ والتدمرية ص٦٦، ومختصر الصواعق ٤٥٠-٤٥١.

(٢) ينظر نحو ذلك في: صفة النزول الإلهي، للغامدي ص٤٧٠ .

سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة، فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى))[١] قال الخطابي: ليس في الصحيح[٢] حديث أشنع ظاهراً، ولا أبشع مذاقاً من هذا الحديث، فإنه يقتضي تحديد المسافة بين أحد المذكورين وبين الآخر، وتمييز مكان كل واحد منهما، هذا إلى ما في التدلي من التشبيه والتمثيل له بالشيء الذي يعلو من فوق إلى أسفل[٣]. ونقل الحافظ ابن حجر ذلك[٤]، وساق جملاً من اعتراضات الخطابي على إثبات عدم صحة هذه الرواية منها: أن هذا الحديث كان رؤيا منامية، فهو مثل ضرب؛ ليتأول على الوجه الذي يجب أن يصرف إليه معنى التعبير في مثله، وأن هذه القصة بطولها إنما هي حكاية يحكيها أنس من تلقاء نفسه، ولم يعزها إلى النبي ﷺ، وأن القصة من رواية شريك[٥]، وهو كثير التفرد بمناكير الألفاظ التي لا يتابعه عليها سائر الرواة[٦].

أما دعوى أن القصة كانت رؤيا منام فقد رد الحافظ ابن حجر هذه الدعوى في الفتح[٧]، وقد جمع الحافظ ابن كثير روايات هذه القصة من

---

(١) صحيح البخاري ٧٥١٧ عن أنس بن مالك ﷺ.
(٢) يعني صحيح البخاري.
(٣) أعلام الحديث ٤/ ٢٣٥٢ .
(٤) الفتح ١٣/ ٤٨٣ .
(٥) هو شريك بن عبد الله بن أبي نمر المدني المحدث، قال ابن معين والنسائي: ليس به بأس، ووثقه أبو داود. مات قبل الأربعين ومائة. ينظر: السير ٦/ ١٥٩-١٦٠، والجرح والتعديل ٤/ ٣٦٣، وتهذيب التهذيب ٤/ ٣٣٧ .
(٦) فتح الباري ١٣/ ٤٨٣-٤٨٤ .
(٧) الفتح ١٣/ ٤٨٠ .

طرقها المختلفة، ثم قال: والحق أنه -عليه السلام- أسرى به يقظة لا مناماً من مكة إلى بيت المقدس راكباً البراق،.. ثم أتي بالمعراج، فصعد فيه إلى السماء الدنيا، ثم إلى بقية السموات السبع[١].

وأما دعوى أن القصة من حكاية أنس ﷺ من عند نفسه، فقد ردّها الحافظ قائلاً: وما نفاه من أن أنساً لم يسند هذه القصة إلى النبي ﷺ لا تأثير له، فأدنى أمره فيها أن يكون مرسل صحابي، فإما أن يكون تلقاها عن النبي ﷺ، أو عن صحابي تلقاها عنه [٢].

وأما الطعن في شريك راوي الحديث فهو مردود بإخراج الإمام البخاري[٣] له في الصحيح، وبما ذكره الحافظ في الشرح من توثيق أئمة الجرح والتعديل له، وقبولهم إياه، واحتجاجهم به في تصانيفهم [٤]، فلا سبيل إذاً إلى الطعن فيه.

وأما ما جزم به الخطابي من مخالفة السلف والخلف لرواية شريك عن أنس في التدلي، فقد ذكر الحافظ في شرحه من وافق شريكاً فيها [٥]. وقد سبق الكلام عن هذه الآية وذكر أقوال من نسب الدنو إلى الله ﷻ فيها [٦].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٧٥٤-٧٦٧ .

(٢) الفتح ١٣/ ٤٨٣-٤٨٤ .

(٣) هو محمد بن إبراهيم بن المغيرة، الإمام أمير المؤمنين في الحديث، أبو عبد الله البخاري، ولد سنة ١٩٤هـ وتوفي سنة ٢٥٦هـ. ينظر: السير ١٢/ ٣٩١، وطبقات الحنابلة ١/ ٢٧١، وتاريخ بغداد ٢/ ٤و٣٣، والشذرات ٢/ ١٣٤ .

(٤) الفتح ١٣/ ٤٨٥ .

(٥) الفتح ١٣/ ٤٨٤ . وينظر: منهج ابن حجر في العقيدة، لمحمد كندو ٢/ ٧٨٢-٧٨٤ .

(٦) ينظر: ص٤٧-٤٨.

ثالثاً: الرد على تأويلات المخالفين في صفة القرب .

يرد على تأويل صفة القرب بالرحمة والعطف ونحوهما بالآتي:

١-أن الله ﷻ راحم ومتعطف مع عدم القرب والدنو، كما هو بعد القرب والدنو، فلا يصح حمله على مالا يفيد (١).

٢-أن هذا التأويل لا يصح في قوله تعالى: ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ** ﴾، ومعلوم أن هذا يتناول المؤمن والكافر، والثاني لا يقرب من رحمته .

٣-أن هذا التأويل إنما يجيء في قرب العبد من الرحمة، لا يقال: قرب رحمته ودنوها من العبد، وهذا لا يستقيم.

٤-يُقال: قوله: " من تقرّب إليّ شبراً تقرّبت إليه ذراعاً " إما أن يُراد بكل واحد من المقربين قرب رحمته ودنوها من العبد، أو يُراد بأحدهما غير ذلك، والأول ممتنع؛ لأن أحد المتقربين لو كان هو الآخر لكان جزاء العمل هو العمل. وهذا باطل، فلابد أن يكون أحدهما غير المعنى الذي ذكر؛ ولأنه قال: ((**من تقرّب إليّ شبراً تقرّبت منه ذراعاً**)) فجعل الثاني ضعف الأول، فيمتنع أن يكون إياه.

٥-أن قرب الرحمة ودنوها من العبد ليس من فعله ومقدوره، وإنما هو من فعل الله، فلا يصلح أن يفسر به تقرب العبد، بل الذي يفسر به القرب إنما يفسر به قرب الله تعالى (٢).

---

(١) إبطال التأويلات لأخبار الصفات، لأبي يعلى ١/ ٢٢٨ .

(٢) نقض التأسيس، لابن تيمية ٢/ ق١٨٦ .

٦-أن المصطفى ﷺ قال: ((**يؤتى بالمؤمن يوم القيامة فيدنيه الله تعالى منه، فيضع كنفه عليه حتى يستره..**)) فقوله: " يدني عبده " غير ممتنع حمله على ظاهره وأنه دنو من ذاته (١).

فكل ذلك ألفاظ صريحة يعلم من سمعها بالاضطرار أن الذي يدنيه منه، ويضع كنفه عليه، ويقرره بذنوبه، ويغفرها له هو الله ، لا أحد من خلقه. فكيف يجوز أن يقال: لا يدنو العبد من ربه، وإنما يدنو من بعض مخلوقاته؟! وهل ذلك إلا بمثابة أن يقال: إن الذي يقرره بذنوبه هو بعض مخلوقاته، كما تقوله الجهمية، القائلون بأن الله لا يقوم به كلام، وإنما الكلام يقوم ببعض مخلوقاته؟! وكلاهما بمنزلة أن يقال: إن الله لا يغفر له، وإنما يغفر له بعض مخلوقاته. وهذا يؤول إلى قول الفلاسفة وغيرهم (٢).

وأما الماتريدية فهم من نفاة الصفات الاختيارية (٣)، بناءً على قولهم بنفي حلول الحوادث بالرب تعالى.

---

(١) إبطال التأويلات ٢/ ٢٢٧. والكَنَفَ صفة ثابتة لله بالسنة الصحيحة كما في الحديث المذكور في المتن، قال ابن المبارك: الكنف: الستر، كما في خلق أفعال العباد ١٠٣ قال الشيخ عبد الله الغنيمان: قوله: " حتى يضع كنفه عليه " : جاء الكنف مفسراً في الحديث بأنه الستر، والمعنى أنه تعالى يستر عبده عن رؤية الخلق له؛ لئلا يفتضح أمامهم فيخزى؛ لأنه حين السؤال والتقرير بذنوبه تتغير حاله، ويظهر على وجهه الخوف الشديد، ويتبين فيه الكرب والشدة. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ٢/ ٤٢٣ .

(٢) نقض التأسيس ٢/ ق١٨٨ .

(٣) ينظر: الماتريدية دراسة وتقويم، للمربي ص٢٩٣، وعداء الماتريدية للعقيدة السلفية للشمس الأفغاني ١/ ٥٠٧ .

ونفي حلول الحوادث بالرب تعالى فيه إجمال، فإن أريد به أن الله تعالى لا يحل في ذاته شيء من مخلوقاته، أو أنه لا يحدث له وصف متجدد لم يكن، فهذا نفي صحيح. وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية من أنه لا يفعل ما يريد، ولا يتكلم بما شاء، ولا يغضب، ولا يرضى، ولا أنه يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والإتيان والقرب ونحو ذلك، فهذا نفي باطل (١).

وقولهم بنفي الصفات الاختيارية احتجاجاً بامتناع حلول الحوادث بذات الرب تعالى قول لا دليل عليه، وإنما عمدتهم أن الكرامية قالوا ذلك وتناقضوا، فيبيّنون تناقض الكرامية، ويظنون أنهم إذا بيّنوا تناقض الكرامية –وهم منازعوهم– فقد فلجوا، ولم يعلموا أن السلف وأئمة السنة والحديث تكلموا بذلك قبل أن تخلق الكرامية (٢).

وأساطين الفلاسفة والمتكلمين ذكروا حجج النفاة لحلول الحوادث، وبيّنوا فسادها كلها، وذكروا أن مذهب المتكلمين في نفي حلول الحوادث ليس لهم فيه حجة عقلية ولا سمعية (٣).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز ص٩٧ .

(٢) مجموع الفتاوى ٦/ ٢٢٢ .

(٣) ينظر: مناهج الأدلة، لابن رشد ١٤١-١٤٤، والأربعين في أصول الدين، للرازي ١١٨-١٢٠ ودرء التعارض ٤/ ٢٧ (نقلاً عن د/ أحمد الحربي من كتابه الماتريدية ص٣٠٦)،

قال الآمدي [(١)]: قالوا: لو جاز قيام الحوادث بذات الباري تعالى لاستحال خلوُّه عنها، وما استحال خلوُّه عن الحوادث فهو حادث، والباري مستحيل أن يكون حادثاً. واعلم أن هذا المسلك ضعيف جداً[(٢)]. ثم ذكر حججهم وبيّن فسادها [(٣)].

ودعوى الماتريدية أن صفة القرب ضمن المتشابه دعوى مجانبة للحق؛ فإنه لا يصح القول: إن نصوص الصفات من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، فمقتضى هذه الدعوى أن هذه النصوص ليس لها معانٍ معلومةٌ للعباد؛ وهذا باطل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة، ولا عن الأئمة، لا أحمد بن حنبل، ولا غيره، أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية، ونفى أن يعلم أحد معناه، وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، ولا قالوا: إنّ الله ينزل كلاماً لا يفهم أحد معناه، وإنما قالوا كلمات لها معانٍ صحيحة، قالوا في أحاديث الصفات: تمر كما جاءت، ونهوا عن تأويلات الجهمية، وردوها، وأبطلوا التي مضمونها تعطيل النصوص عمّا دلّت عليه.

---

(١) هو علي بن أبي علي بن محمد بن سالم، الشيخ العلامة، أبو الحسن سيف الدين الآمدي التغلبي، ولد سنة ٥٥١هـ وكان من علماء الأشاعرة، توفي سنة ٦٣١هـ ينظر: البداية والنهاية ١٧/ ٢١٤-٢١٥، والسير ٢٢/ ٣٦٤، وطبقات السبكي ٨/ ٣٠٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٩٣ .

(٢) غاية المرام ١٨٧ .

(٣) الماتريدية، للحربي ص٣٠٦ .

ونصوص أحمد والأئمة قبله بيّنة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية، ويقرون النصوص على ما دلّت عليه من معناها، ويفهمون منها بعض ما دلّت عليه، كما يفهمون ذلك في سائر نصوص الوعد والوعيد والفضائل وغير ذلك.

فتأويل هؤلاء المتأخرين عند الأئمة تحريف باطل، وكذلك نص أحمد في كتاب: " الرد على الزنادقة والجهمية "(١) أنهم تمسكوا بمتشابه القرآن، وتكلم أحمد على ذلك المتشابه، وبيّن معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية، وجرى في ذلك على سنن الأئمة قبله. فهذا اتفاق من الأئمة على أنهم يعلمون معنى هذا المتشابه، وأنه لا يسكت عن بيانه وتفسيره، بل يبين، ويُفسر باتفاق الأئمة من غير تحريف له عن مواضعه، أو إلحاد في أسماء الله وآياته (٢).

ومنشأ الخطأ عند من يجعل نصوص الصفات من المتشابه، أنهم جعلوا المتشابه مجهول المعنى، فإذا قالوا: إن نصوص الصفات من المتشابه، فإنهم يعنون بذلك أنها مجهولة المعنى، ولا يُفهم منها شيء معين.

وهذا الزعم باطل بلا شك، فإنّ الله -سبحانه وتعالى- حثّنا على تدبّر كتابه، فقال: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ** ﴾ (٣)، ولم

---

(١) ص٨٦. تحقيق د. عبد الرحمن عميرة.
(٢) مجموع الفتاوى ١٣/ ٢٩٤-٢٩٥ .
(٣) سورة محمد ٢٤ .

يستثن من القرآن شيئاً، لا آيات الصفات، ولا غيرها، ولم لم تكن مفهومة المعنى لم يكن للتدبّر فائدة .

وأيضاً فإن السلف من الصحابة والتابعين وسائر الأمة قد تكلّموا في جميع نصوص القرآن، آيات الصفات وغيرها، وفسّروها بما يوافق دلالتها وبيانها. ولو كان معاني هذه الآيات منفياً أو مسكوتاً عنه، لم يكن ربانيو الصحابة أهل العلم بالكتاب والسنة أكثر كلاماً فيه[١].

وأما الكلابية فقد سبق بيان تناقضهم في هذه الصفة.

وأما الفلاسفة فيفسرون قرب العبد على معنى إزالة النقائص والعيوب من نفسه، وتكميلها بالصفات الحسنة، حتى يكون مقارباً للرب مشابهاً له.

ويقولون: الفلسفة هي التشبه بالإله على قدر الطاقة،، وأما حركة الروح فممتنعة عندهم، وكذلك يقولون في قرب الملائكة.

وعند هؤلاء أن معراج النبي ﷺ إنما هو انكشاف حقائق الكون له.

وكلام هؤلاء يشتمل على حق وباطل، فالذي أثبتوه من تزكية النفس عن العيوب وتكميلها بالمحاسن حق في نفسه، لكن زعمهم أن لا معنى للنصوص إلا ذلك، وأن لا حق وراء ذلك، وأن الجنة والنار عبارة عن ذلك، والوصف المذكور عنهما في الكتب الإلهية إنما هو عبارة عن أمثال

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٠٧-٣٠٨ .

مضروبة لتفهيم المعاد الروحاني، وأن الملائكة والجن هي أعـراض، وهـي قوى النفس الصالحة والفاسدة، وأن الروح لا تتحرك، وإنما ينكـشف لهـا حقائق الكون، فيكون ذلك قربها إلى الله، وأن معراج النبي ﷺ هو من هذا الباب، لا شك أن هذا الكلام باطل (١).

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/ ٢٤-٢٥. ومن الفلاسفة من يفسر قول القائلين بأنه أقرب إلى كل شيء من نفس ذلك الشيء، بأن الأشياء معدومة من جهة أنفسها، وإنما هي موجودة بخلـق الـرب -سبحانه وتعالى- لها، وهي باقية ببقائه، وهو -سبحانه وتعالى- ما شاء كان، ومـا لم يـشأ لم يكـن، فلا موجود إلا بإيجاده، ولا باقٍ إلا بإبقائه، فلو قدر أنه لم يشأ خلقها وتكوينها لكانـت باقيـة عـلى العدم، ولا وجود لها أصلاً، فصار هو أقرب إليها من ذواتها، فتكوين الشيء وخلقـه وإيجـاده هـو فعل الرب -سبحانه وتعالى- أقرب إلى المخلوقات من المخلوقات إلى أنفسها بهذا الاعتبـار. وقـد يفسر بعضهم قوله تعالى: { كل شيءٍ هالك إلاّ وجهَه } بهذا المعنى؛ فإن الأشـياء كلهـا بـالنظر إلى أنفسها عدم محض، ونَفْي صرف، وإنما هي موجودة تامة بالوجد الذي لها إلى الخالق، وهو تعلّقهـا به، وبمشيئته وقدرته، باعتبار هذا الوجه كانت موجودة، وبالوجه الذي يـلي أنفـسها لا تكـون إلا معدومة، وقد يفسرون بذلك قول لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل .

ولا يقال: هذه المقالة صحيحة في نفسها، فإنها لولا خلقه للأشياء لم تكن موجودة، ولولا إبقاؤه لها لم تكن باقية. وقد تكلم النظار في سبب افتقارها إليه، هل هو الحـدوث – فـلا تحتـاج إلا في حـال الإحداث، كما يقول ذلك من يقوله من الجهمية والمعتزلة ونحوهم – أو هو الإمكان الذي يظن أنه يكون بلا حدوث يلي بكون الممكن المعلول قديماً أزلياً، ويمكن افتقارها في حال البقاء بلا حدوث ، كما يقوله ابن سينا وطائفة؟ وكلا القـولين خطـأ كـما قـد بـسط في موضـعه، وبَـيّنٌ أن الإمكـان والحدوث متلازمان كما عليه جمـاهير العقـلاء مـن الأولـين والآخـرين، حتـى قـدماء الفلاسـفة كأرسطو وأتباعه، فإنهم أيضاً يقولون: إن كل ممكن فهو محدث، وإنما خـالفهم في ذلـك ابـن سـينا وطائفة؛ ولهذا أنكر عليه إخوانه كابن رشد وغيره، والمخلوقات مفتقرة إلى الخالق، فالفقر وصـف لازم لها دائماً لا تزال مفتقرة إليه، والإمكان والحدوث دليلان على الافتقار؛ لأن هـذين الوصـفين جعلا الشيء مفتقراً بل الأشياء مفتقرة إلى خالقها، لازم لها، لا يحتاج إلى علة، كـما أن غنـى الـرب لازم لذاته لا يفتقر في اتصافه بالغنى إلى علة، وكذلك المخلوق لا يفتقر في اتصافه بالفقر إلى علـة، بل هو فقير لذاته، لا تكون ذاته إلا فقيرة فقراً لازماً لها لا يستغني إلا بـالله. شرح حـديث النـزول ص١٣٦-١٣٧ .

هذا ما تيسَّر لي دراسته في صفة القرب لله ﷻ عند أهل السنة والجماعة وعند المخالفين لهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

ومن الفلاسفة كأرسطو وأتباعه من يوافق المعتزلة والجهمية على نفي الصفات، ومن ضمنها الصفات الاختيارية، فليس لله ﷻ صفة ثبوتية تقوم به عندهم، ولا يفعل شيئاً باختياره ألبتة. ينظر: إغاثة اللهفان ٢/ ١٩١، وشرح العقيدة الطحاوية ص٤٠٢ .

الخاتمة

أبـرز نتائـج البحـث

١- يعدُّ العلم بأسماء الله الحسنى وصـفاته العُـلى مـن أشرف العلـوم وأنفعها للعباد.

٢- لأهل السنة قواعد محكمة في باب الصفات، وقد توسـطوا في هـذا البـاب بين المبتدعة.

٣- الله ﷻ قريب مـن بعـض عبـاده قربـاً خاصـاً، كـما يليـق بجلالـه وعظمته، مع استوائه على عرشه، وكونـه بائنـاً مـن خلـقه. وقـرب الله لا يماثل بأي حال من الأحوال قرب العباد .

٤- ليس كل قرب ورد في النصوص الشرعية يفسّر بالقرب الحقيقي، بل قد يكون المراد من سياق بعض النصوص قرب الملائكة.

٥- ليس في القرآن ولا في الـسنة قـرب عـام لله ﷻ مـن كـل مخلـوق، وليس في النـصوص أيـضاً قـرب ذات الله مـن العبـاد، لا خـصوصاً ولا عموماً.

٦- القرب لله ثلاثة أنواع : قرب من الـداعي بالإجابـة، وقـرب مـن العابد بالإثابة، وقرب حقيقي من بعض خلقه ممن اختصّه الله مـن بعـض عباده.

٧- دلَّ على إثبات صفة القرب لله أدلة من القرآن، منها ما هو صريح في إثبات هذه الصفة، ومنها أدلة، استنبط بعض العلماء منها إثبات صفة القرب. وجاء إثبات صفة القرب في السنة النبوية، وفي كلام بعض الصحابة رضي الله عنهم وكبار التابعين وأئمة أهل السنة والجماعة.

٨- اختلف العلماء في آية ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ والذي يترجح أن المراد قرب الملائكة .

٩- لصفة القرب علاقة بكثير من الصفات، فقرب الله لا ينافي فوقيته وعلوَّه، فالله عليّ في دنوه، قريب في علوِّه. وهو تعالى مع قربه من عباده مستوٍ على عرشه بائن من خلقه.

والله ﷻ يوصف بالمعية، وهي خاصة وعامة، بينما يوصف بالقرب الخاص لا العام، فالمعية أعم والقرب أخص.

وكذلك يوصف الله بالنزول، ونزول الله يتضمن قربه، ولكن هناك فرق بين النزول والقرب.

١٠- يثمر الإيمان بصفة القرب في قلب العبد آثاراً جليلة، منها اعتقاد العبد علو الله، وبينونته من خلقه، واستواءه على عرشه، ونزوله ومعيته، ونحو ذلك من الصفات. ومنها التعبُّد باسم القريب، ومنها عبودية الدعاء، ومنها العلم بمراقبة الله للعبد باستشعار قربه، وغير ذلك من الآثار العظيمة النافعة.

١١- ضلَّ المبتدعة في صفة القرب، ومجمل بدعهم في الآتي:

أ- من يقول: إنّ الله لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، فينفون العلو والفوقية، وهو قول الجهمية والمعطلة.

ب- من يقول: إنّ الله بذاته في كل مكان، ويحتجون بنصوص قرب الله ومعيّته على ذلك، وهم الحلولية وبعض المتصوفة.

جـ- من يقول: الله بذاته فوق العرش، وهو بذاته، في كل مكان، وهو قول بعض المتكلمين والمتصوفة.

د- من يؤول قرب الله بالمنزلة والمكان والدرجة، أو بالرحمة والإنعام، أو القدرة والسلطان، ونحو ذلك، وهم الأشاعرة، ومن وافقهم.

ولهم شبهات ساقطة لتأييد مزاعمهم، مثل شبهة التجسيم، والجهة، والقول أن معنى هذه الصفة مجاز، وليس حقيقة، وبعض الشبه العقلية الباطلة.

فهرس المراجع والمصادر

١- الإبانة، للأشعري، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط٣، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م. و/ أخرى تحقيق فوقية حسين محمود، القاهرة، دار الأنصار، ط١، ١٣٩٧هـ.

٢- إبطال التأويلات لأخبار الصفات، لأبي يعلى، تحقيق محمد الحمود، مكتبة دار الإمام الذهبي، الكويت، ط١، ١٤١٠هـ.

٣- إبكار الأفكار، للآمدي. مخطوط من دار الكتب المصرية رقم ١٦٠٣، علم كلام.

٤- إثبات الحد لله، للدشتي، مخطوط مصور عن الظاهرية رقم ٣٨٠٤.

٥- إثبات صفة العلو، لابن قدامة. تحقيق بدر عبد الله البدر، الدار السلفية بالكويت، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٦- إثبات علو الله ومباينته لخلقه والرد على من زعم أن معية الله للخلق ذاتية، لحمود التويجري. مكتبة المعارف بالرياض، ط١، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٧- اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم. تحقيق د. عواد المعتق. مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

٨- إجماع أهل السنة النبوية على تكفير المعطلة الجهمية، مجموع لبعض مشائخ الدعوة، جمع وتخريج عبد العزيز عبد الله الزير. دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

٩- أحكام القرآن، لابن العربي. تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

١٠- الأربعين في أصول الدين، للرازي. دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط١، ١٣٥٣هـ.

١١- الأربعين في صفات رب العالمين، للذهبي. تحقيق عبد القادر صوفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط١، ١٤١٣هـ.

١٢- أساس التقديس، للرازي. مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٣٥٤هـ- ١٩٣٥م، ط. أخرى، تحقيق أحمد السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١٣- الاستقامة، لابن تيمية. تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط. جامعة الإمام، ط٢، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

١٤- الأسماء والصفات، للبيهقي. تحقيق عبد الله محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، ط١، ١٤١٣هـ.

١٥- الأصول الخمسة، بشرح القاضي عبد الجبار، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة بالقاهرة، ط١، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٥م.

١٦- أصول السنة، لابن أبي زمنين. تحقيق عبد الله محمد البخاري، نشر مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٥هـ.

١٧- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للرازي، ومعه المرشد الأمين، لطه عبد الرؤوف سعد، ومصطفى الهواري. نشر مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

١٨- أعلام الحديث، شرح صحيح البخاري، للخطابي. تحقيق د. محمد بن سعد آل سعود، ط. جامعة أم القرى، مركز إحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

١٩- الأعلام، للزركلي. دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٩٨٤م.

٢٠- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم. المكتبة الثقافية، بيروت د.ت.

٢١- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات، لمرعي الكرمي. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦٣هـ- ١٩٨٥م.

٢٢- إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض. تحقيق يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٣- الإمام الدارمي ودفاعه عن عقيدة السلف، محمد أبو رحيم. دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م .

٢٤- بحر الكلام، للنسفي. دراسة وتعليق ولي الدين الفرفور. مكتبة دار الفرفور دمشق، ط٢، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٢٥- البداية والنهاية، لابن كثير. تحقيق د. عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م .

٢٦- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

٢٧- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٥م .

٢٨- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي. المكتبة السلفية، المدينة، د.ت.

٢٩- تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) المطبعة الحسينية المصرية، على نفقة السيد محمد عبد اللطيف الخطيب وشركاه، ط١، د.ت.

٣٠- تأويلات أهل السنة، للماتريدي، تحقيق محمد مستفيض الرحمن، إشراف جاسم محمد الجبوري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م .

٣١- التبصير في الدين، للأسفراييني. تعليق محمد زاهد الكوثري، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م .

٣٢- التدمرية، لابن تيمية، تحقيق د. محمد السعوي، شركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ .

٣٣- تذكرة الحفاظ، للذهبي، وضع حواشيه زكريا عميرات، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٣٤- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مطبعة السعادة، مصر، توزيع مكتبة الرياض الحديثة، د.ت.

٣٥- تفسير ابن بدران (جواهر الأفكار ومعادن الأسرار) تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م .

٣٦- تفسير البغوي (معالم التنزيل) تحقيق مجموعة محققين. دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

٣٧- تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م .

٣٨- تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت .

٣٩- تفسير ابن الجوزي (زاد المسير) تقديم زهير الشاويش. المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م .

٤٠- تفسير الرازي (التفسير الكبير) المطبعة البهية المصرية، ط١، ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م .

٤١- تفسير ابن سعدي (تيسير الكريم الرحمن) تحقيق محمد زهري النجار، مؤسسة الرسالة، دار المؤيد، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م .

٤٢- تفسير السيوطي (الدر المنثور) تحقيق د. عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م .

٤٣- تفسير الشوكاني (فتح القدير) تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٤٤- تفسير الطبري (جامع البيان) تحقيق د. عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٤٥- تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير) الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٤٦- تفسير عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٤٧- تفسير العز بن عبد السلام. تحقيق د. عبد الله الوهيبي، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، الإحساء وليس على الكتاب بيان الجهة الطابعة.

٤٨- تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز) تحقيق مجموعة من المحققين، مؤسسة دار العلوم، قطر، ط١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٧م .

٤٩- تفسير القاسمي (محاسن التأويل) اعتنى به محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .

٥٠- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) تحقيق د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م .

٥١- تفسير ابن كثير، تحقيق مجموعة محققين، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م. ط. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

٥٢- تفسير الكلبي الغرناطي (التسهيل لعلوم التنزيل) تحقيق محمد عبد المنعم اليونسي وإبراهيم عطوة عوض. مطبعة حسان. القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م .

٥٣- تفسير الماوردي (النكت والعيون) تحقيق خضر محمد خضر، مراجعة عبد الستار أبو غدة، مطابع المقهوي، الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٥٤- تفسير مجاهد، تحقيق عبد الرحمن الطاهر السورتي، مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد، ط١، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.

٥٥- تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا. دار المعرفة، بيروت، ط٢، د.ت.

٥٦- تفسير النسائي، تحقيق صبري الشافعي وسيد عباس. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٠٠هـ- ١٩٩٠م .

٥٧- تفسير هميان (الزاد إلى دار المعاد) لأطفيش، مطابع العرب، نشر وزارة التراث القومي، سلطنة عمان، ١٩٨٠م.

٥٨- تفسير الواحدي (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) تحقيق صفوان الداوودي، دار القلم، دمشق والدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٥٩- التمهيد، لابن عبد البر، تحقيق محمد الفلاح، وزارة الأوقاف بالمغرب، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م وطبعة أخرى بتحقيق أسامة إبراهيم، نشر الفاروق الحديثة بالقاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م .

٦٠- التهجد وقيام الليل، لابن أبي الدنيا، تحقيق مصلح الحارثي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م .

٦١- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٢٥هـ. ط. أخرى عناية إبراهيم الزيبق وعادل مرشد. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م .

٦٢- التوحيد وإثبات صفات الرب، لابن خزيمة، تحقيق د. عبد العزيز الشهوان، مطابع الفرزدق، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ .

٦٣- التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته، لابن منده، تحقيق د. علي محمد فقيهي، مكتبة الغرباء الأثرية. المدينة، ط٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م .

٦٤- جامع الرسائل، لابن تيمية. تحقيق د. محمد رشاد سالم، دار المدني، جدة، ط٢، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م .

٦٥- جامع العلوم والحكم، لابن رجب. تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٦٦- جامع المسائل، لابن تيمية. تحقيق محمد عزير شمس، إشراف الشيخ بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٦٧- جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات، للنووي. تحقيق أحمد الدمياطي، مكتبة الأنصار، مصر، ط١، ٢٠٠٣م.

٦٨- الحجة في بيان المحجة، وشرح عقيدة أهل السنة، للأصبهاني. تحقيق محمد ربيع المدخلي، ومحمد أبو رحيم، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٦٩- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٧٠- الحكم، لابن عطا الله بشرح الشرنوبى. ضبطه وعلق عليه عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير، دمشق، ط٧، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٧١- حلية الأولياء، لأبي نعيم، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٧٢- الحموية، لابن تيمية. رسالة ماجستير، تحقيق د. حمد بن عبد المحسن التويجري، كلية أصول الدين، قسم العقيدة، ١٤١٢هـ.

٧٣- الخوارج، د. ناصر العقل. دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

٧٤- دراسات في التصوف، للشيخ إحسان إلهي ظهير. نشر إدارة ترجمان السنة، لاهور، ط١، ١٤٠٩هـ.

٧٥- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية. تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط. جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٨٠م.

٧٦- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، مطابع المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.

٧٧- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر. تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر، ط٢، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٦م، مطبعة المدني.

٧٨- الدعاء للطبراني، تحقيق محمد سعيد البخاري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٧٩- دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، لابن الجوزي. تحقيق وتعليق حسن السقاف، دار الإمام النووي، عمان، الأردن، ط٣، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٨٠- دقائق التفسير، لابن تيمية. لمحمد السيد الجليند، مكتبة دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٨١- ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب. دار المعرفة، بيروت، د.ت.

٨٢- الرد على الجهمية، لأحمد بن حنبل. تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ.

٨٣- الرد على الجهمية، للدارمي. ضمن عقائد السلف جمع النشار والطالبي، مكتبة الآثار السلفية، ١٩٧١م.

٨٤- روح البيان، إسماعيل حقي البرسوي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٨٥- الروح، لابن القيم. دار الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، د.ت.

٨٦- الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية، للشيخ زيد الفياض. دار الوطن، الرياض، ط٣، ١٤١٤هـ.

٨٧- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، ط١، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٨٨- الزهد، لهناد بن السري، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م.

٨٩- سلك الدرر، للمرادي. القاهرة، المطبعة الميرية، ١٣٠١هـ- ١٨٨٣م.

٩٠- سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٩١- سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٩٢- سنن الدارمي، تحقيق عبد الله هاشم المدني، نشر حديث أكادمي، باكستان، توزيع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء. الرياض، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٩٣- السنن الكبرى، للنسائي، تحقيق عبد الغفار البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٩٤- سير أعلام النبلاء، للذهبي. تحقيق مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٩٥- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لابن حبان. تصحيح السيد عزيز بك، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م .

٩٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي. تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.

٩٧- شرح أصول الاعتقاد، للالكائي. تحقيق د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤١١هـ .

٩٨- شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد، للسفاريني. تقديم زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٩٩- شرح حديث النزول، لابن تيمية. المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٨١هـ- ١٩٦١م.

١٠٠- شرح عقيدة أهل السنة على مذهب الإمام مالك. د. محمد الخميس، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض.

١٠١- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، تحقيق د. عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ.

١٠٢- شرح العقيدة الواسطية، للهراس. تعليق الشيخ محمد بن عثيمين، عناية علوي السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الظهران، ط٥، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

١٠٣- شرح العقيدة الواسطية، للشيخ صالح الفوزان. دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

١٠٤- شرح الفقه الأكبر المنسوب إلى أبي حنيفة، للماتريدي. دائرة المعارف العثمانية، حيدرأباد، ط٢، ١٣٦٥هـ.

١٠٥- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ الغنيمان. مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٠٦- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ ابن عثيمين. مطبوع على الكمبيوتر على هيئة مذكرة .

١٠٧- شرح الكرماني، للبخاري (الكواكب الدراري) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

١٠٨- شرح لامية ابن تيمية، للمرداوي (اللآلئ البهية) مؤسسة النور للطباعة والتجليد، الرياض، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.

١٠٩- شرح نونية ابن القيم، لابن عيسى. المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

١١٠- شرح صحيح مسلم، للنووي، إشراف حسن قطب. دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

١١١- شفاء العليل، لابن القيم. تحرير الحساني حسن عبد الله، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت.

١١٢- الشفا، لعياض بشرح ملا علي قاري، تحقيق حسنين مخلوف، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت.

١١٣- الصحاح، للجوهري. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

١١٤- صحيح البخاري مع فتح الباري، لابن حجر. (انظر فتح الباري).

١١٥- صحيح سنن الترمذي، للألباني، بتكليف من مكتب التربية العربية لدول الخليج العربي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١١٦- صحيح ابن حبان، مع الإحسان، لابـن بلبـان، تحقيـق شـعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١١٧- صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمـي، المكتـب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م .

١١٨- صحيح مـسلم، تحقيـق وتعليـق موسـى لاشـين وأحمـد عمـر هاشم، مؤسسة عز الدين للطباعة والنـشر، بـيروت، ط١، ١٤٠٧هـــ- ١٩٨٧م.

١١٩- صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، لعلوي السقاف. دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٢٠- صـفة النـزول الإلهـي ورد الـشبهات حولهـا، لعبـد القـادر الغامدي، دار البيان الحديثة، الطائف، ط١، ١٤٢١هـ.

١٢١- طبقات الحنابلة، لابـن أبي يعـلى، دار المعرفـة، بـيروت، د.ت، مصورة من الطبعة التي صـححها الـشيخ محمـد حامـد الفقـي. مطبعـة السنة المحمدية، القاهرة.

١٢٢- طبقات السبكي (طبقات الشافعية الكـبرى) تحقيـق د. محمـود الطناحي ود. عبد الفتاح الحلو. هجر للطباعـة والنـشر، القـاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١٢٣- الطبقات الكبرى، للشعراني. المطبعة العامرة الشرقية، مصر، ١٣١٥هـ.

١٢٤- طبقات المفسرين، للداودي. تحقيق علي محمد عمر. مكتبة وهبة، مصر، مطبعة الاستقلال الكبرى. ط١، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

١٢٥- طريق الهجرتين، لابن القيم. تحقيق عمر محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٢٦- العبر في خبر من غبر، للذهبي. تحقيق فؤاد سيد، سلسلة تصدرها دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٦١م.

١٢٧- عرائس المجالس، للثعلبي. دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، د.ت.

١٢٨- العظمة، لأبي الشيخ، تحقيق رضا الله المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.

١٢٩- عقائد السلف، جمع النشار والطالبي، مكتبة الآثار السلفية، ١٩٧١م.

١٣٠- عقيدة الحلول: عرض ونقض، د. محمد العلي، بحث مكتوب على الكمبيوتر.

١٣١- العقيدة السلفية في كلام رب البرية، عبد الله بن يوسف الجديع. المكتبة السلفية، الكويت، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٣٢- العلو للذهبي، باختصار الألباني. المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

١٣٣- علو الله على خلقه، موسى الدويش. عالم الكتب، بيروت، مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

١٣٤- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، لابن السمين. تحقيق عبد السلام التونجي الحلبي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٣٥- عمدة القاري، شرح صحيح البخاري، للعيني. دار المنار، بير وت، د.ت.

١٣٦- العين، للخليل بن أحمد. تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، وتصحيح أسعد الطيب. انتشارات أسوة، مؤسسة الميلاد، قم، إيران، ط١، ١٤١٤هـ.

١٣٧- غاية المرام في علم الكلام، للآمدي. تحقيق حسن محمود عبد اللطيف، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.

١٣٨- الفتاوى الكبرى، لابن تيمية. تقديم حسين مخلوف، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د.ت.

١٣٩- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب أحمد الدويش. دار العاصمة، الرياض، ط٣، ١٤١٩هـ.

١٤٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر. تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، وتصحيح محب الدين الخطيب، وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ.

١٤١- فتح الباري، لابن رجب الحنبلي. تحقيق مجموعة من المحققين، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٧هـ.

١٤٢- الفتوحات المكية، لابن عربي، دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة، ١٣٢٩هـ.

١٤٣- الفرق بين الفرق، للبغدادي. اعتنى به إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

١٤٤- فضل علم السلف على الخلف، لابن رجب. تحقيق علي حسن علي عبد الحميد، ١٤١٠هـ.

١٤٥- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن عبد الخالق، مطبعة الصحابة الإسلامية، الكويت، مكتبة ابن تيمية بالكويت، ط٢، د.ت.

١٤٦- الفهرست، لابن النديم، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، المكتبة الرحمانية بمصر، د.ت.

١٤٧- فوات الوفيات، للكتبي. تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

١٤٨- الفواكه العذاب في معتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حمد بن معمر، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

١٤٩- القاموس المحيط، للفيروزآبادي. تحقيق مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

١٥٠- قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، لصديق حسن خان. تحقيق د. عصام القريوتي، شركة الشرق الأوسط للطباعة، الأردن، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

١٥١- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، للشيخ محمد بن عثيمين. نشر وتوزيع مكتبة وتسجيلات الكوثر، ١٤٠٦هـ.

١٥٢- الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٥٣- الكشاف عن حقائق التنزيل، للزمخشري. تحقيق محمد الصادق القمحاوي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٢- ١٩٧٢م.

١٥٤- كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي. تصحيح محمد وجيه، ط. أخرى تحقيق لطفي عبد البديع وعبد المنعم حسنين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.

١٥٥- الكليات، للكفوي. تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٥٦- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، للسلمان. مطبعة السعادة، مصر، ط٢، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.

١٥٧- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، للمناوي. تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، د.ت.

١٥٨- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، للغزي. تحقيق جبرائيل جبور، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.

١٥٩- لسان العرب، لابن منظور، مصورة عن طبعة بولاق، المؤسسة العامة المصرية للتأليف والأنباء والنشر، مصر، د.ت.

١٦٠- لطائف المنن في مناقب أبي العباس، لابن عطاء الله السكندري. تحقيق خالد العك، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٦١- لمعة الاعتقاد، لابن قدامة. بشرح العلامة ابن عثيمين، مكتبة المعارف، الرياض، ط٣، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١٦٢- لـوائح الأنـوار الـسنية، للـسفاريني. تحقيـق عبـد الله محمـد البصيري، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

١٦٣- لوامع الأنوار البهية، للسفاريني. دار الخـاني بالريـاض للنـشر والتوزيع، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

١٦٤- الماتريدية، دراسة وتقويم، لأحمد الحـربي. دار العاصـمة للنـشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.

١٦٥- الماتريدية، وموقفهم من توحيد الأسـماء والـصفات، للـشمس الأفغاني. مكتبة الصديق، الطائف، ط٢، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٦٦- المجددون في الإسلام، لعبد المتعال الصعيدي. مكتبـة الآداب، القاهرة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

١٦٧- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمـع عبـد الـرحمن بـن قاسم وابنه محمـد، ط. وزارة الـشؤون الإسـلامية والأوقـاف والـدعوة والإرشاد، مجمـع الملـك فهـد لطباعـة المـصحف، المدينـة، ١٤١٦هــ- ١٩٩٥م.

١٦٨- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، للشيخ ابن باز، جمـع وإشراف محمد الشويعر، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١٦٩- المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ ابن سعدي، مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٧٠- مجمل اللغة، لابن فارس، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

١٧١- المحيط بالتكليف، للقاضي عبد الجبار المعتزلي، تحقيق وجمع الحسن بن أحمد وعمر عربي. الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د.ت.

١٧٢- مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، لعبد العزيز السلمان، طبعة خالية عن الجهة الطابعة وتاريخ النشر.

١٧٣- المختصر في أصول الدين، لعبد الجبار، ضمن رسائل العدل والتوحيد، تحقيق محمد عمارة، طبعة دار الهلال، د.ت.

١٧٤- مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيم، والمختصر للموصلي، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٧٥- مختصر طبقات الحنابلة، لابن شطي، دراسة فواز زمرلي، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١٧٦- مدارج السالكين، لابن القيم. تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م.

١٧٧- المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة، لإبراهيم البريكان. دار ابن عفان، القاهرة، ط٥، ١٤١٨هـ.

١٧٨- مروج الذهب، للمسعودي. فهرسة يوسف داغر، دار الأندلسي، بيروت، د.ت.

١٧٩- المستدرك على الصحيحين، للحاكم. دراسة وتحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

١٨٠- مسند الإمام أحمد. تحقيق مجموعة محققين بمؤسسة الرسالة والمشرف العام د. عبد الله التركي. ط١، ١٤١٣هـ.

١٨١- مسند البزار (البحر الزخار) تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

١٨٢- مشكل الحديث، لابن فورك. تحقيق موسى محمد علي، مطبعة حسان، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د.ت.

١٨٣- المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، صادق سليم. مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

١٨٤- معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسني، لمحمد خليفة التميمي، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

١٨٥- معجم الطبراني الأوسط، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٨٦- معجم الطبراني الصغير، تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، ودار النصر بالقاهرة، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

١٨٧- معجم الطبراني الكبير، تحقيق حمدي السلفي، الدار العربية للطباعة، بغداد، ط١، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م، بإشراف وزارة الأوقاف العراقية.

١٨٨- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة. مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

١٨٩- المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني. المطبعة الميمنية، مصطفى البابي الحلبي، مصر، د.ت.

١٩٠- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، للقرطبي. تحقيق مجموعة محققين، دار ابن كثير، دمشق. ودار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

١٩١- مقالات الإسلاميين، للأشعري. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٦٩هـ.

١٩٢- الملل والنحل، للشهرستاني. تحقيق عبد العزيز الوكيل، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

١٩٣- مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي. تحقيق د. عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر، مصر، ط٢، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

١٩٤- منع جواز المجاز، للشنقيطي. مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، دار عالم الفوائد، جدة، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٩٥- منهاج السنة النبوية، لابن تيمية. تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط. جامعة الإمام محمد بن سعود. مصورة عنها بالمغرب ط٢، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٩٦- المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي. تحقيق حلمي فودة، دار الفكر، ط. الأولى، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م .

١٩٧- منهج الشوكاني في العقيدة، عبد الله نومسوك. مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٩٨- منهج ابن حجر في العقيدة من خلال فتح الباري، محمد إسحاق كندو، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م .

١٩٩- منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله، خالد عبد اللطيف نور، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٢٠٠- المؤتلف والمختلف، للدارقطني. تحقيق موفق عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢٠١- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إشراف د. مانع الجهني. دار الندوة العالمية للطباعة والنشر التابعة للندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٣، ١٤١٨هـ.

٢٠٢- موقف ابن تيمية من الأشاعرة. د. عبد الرحمن بن صالح الحمود، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٢٠٣- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي سامي النشار، دار المعارف بمصر، ط٧، ١٩٧٧م.

٢٠٤- النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد، للغزي. تحقيق محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٢٠٥- النعوت، للنسائي، تحقيق د. عبد العزيز الشهوان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٠٦- نقض أساس التقديس، لابن تيمية (بيان تلبيس الجهمية) مخطوط جامعة الملك سعود رقم ٢٥٩٠ وطبع أخيراً كاملاً.

٢٠٧- نقض عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي. تحقيق منصور السماري، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م .

٢٠٨- النقول الصحيحة الواضحة الجلية عن السلف الصالح في معنى المعية الإلهية الحقيقية. للشيخ علي الحواس، مطابع العزيزية للأوفست، ط١، ١٤٠٤هـ.

٢٠٩- هدية العارفين، للبغدادي. دار إحياء التراث العربي، مصورة عن طبعة أستنبول ١٩٥١م.

٢١٠- الوافي بالوفيات، للصفدي. اعتناء هلموت ريتز، دار النشر فرانز شتاينر، ط٢، ١٩٦٢م.

٢١١- وفيات الأعيان، لابن خلكان. تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

فهرس الموضوعات